الإمام

محمد بن علي الجواد عليه السلام

مكانته الدينية وظروفه السياسية

عبد الزهراء عثمان محمد

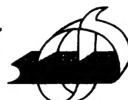
دار الهادي

الإمام محمد بن علي الجواد (ع)

ـ مكانته الدينية وظروفه السياسية ـ

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/ ٠١ ـ ٨٩٦٣٢٩/٠٣ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/ ٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإمام محمد بن علي الجواد (ع)

ـ مكانته الدينية وظروفه السياسية ـ

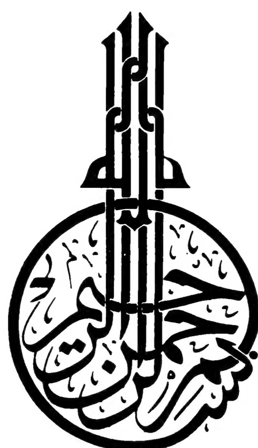
بقلم

عبدالزهراء عثمان محمد



دار الهادي

للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى إمام الهدى أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع)
أرفع هذا البحث المتواضع حول سيرة ولده المبارك الإمام أبي جعفر الجواد (ع) آملاً منه القبول

المؤلف

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

شاء الله عزّوجلّ أن يوفر لرسالاته السماوية المباركة مقومات التجذّر، والبقاء لتستظل بها أجيال البشر.

ومن أهم المقومات الّتي وفرها الله عزّوجلّ لرسالاته، ورسله العظام هو: وضعه نظام «الوصيّة» حيث جعل الله عزّوجلّ لكلّ صاحب رسالة من أنبيائه المرسلين أوصياء يضطلعون بحفظ الرسالة، ويحرصون على ديمومتها وصيانة خطها الإلهي، وهويتها السماوية.. ويربون الناس على قيمها!

وتاريخ الرسالات مليء بالشواهد الحيّة لتكريس هذه الظاهرة الحيوية في مسيرة الرسل (عليهم السّلام)... حتى أن بعض الآثار تروي خريطة لمسيرة الرسالة وكأنها حلقات متسلسلة من الوصية من آدم إلى المهدي المصلح الموعود (صلّى الله عليهم أجمعين) ينص فيه المنذر السابق على المصلح اللّاحق[1]... وقد جاءت تلك الآثار لتؤكد النص المقدس الوارد عن رسول الله (ص): «**لكلّ نبي وصي**، ووارث، وإن

---

(١) الوصية: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي الهذلي.

وصيي، ووارثي علي بن أبي طالب»[١].

ولقد ذكرت أمهات الكتب التاريخية مصاديق عديدة لأوصياء الرسل الوارثين (عليهم السّلام) نذكر منها هذه اللوحة الرائعة:

«كان شيثاً وصي آدم، وكان أنوش بن شيث وصي شيث ووصي أنوش ابنه قينان ومهلائيل كان وصي قينان وكان اليارد وصي مهلائيل ووصي اليارد إدريس ووصي إدريس أخنوخ»[٢]، «وأوصى نوح إلى ولده سام»[٣]، «وأوصى إبراهيم إلى إسماعيل وإسماعيل إلى إسحاق»[٤]، «ووصي موسى يوشع بن نون»[٥]، «وأوصى داود إلى سليمان»[٦].

ورغم اهتمام كتب السنن والعقائد بموضوع الوصية العامة باعتبارها موضوعاً دينياً عقائدياً فإن كتب التاريخ قد اهتمت بهذا الموضوع الرسالي الهام باعتباره قضية تاريخية تمثلت أدوارها على ظهر هذا

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب: للحافظ المحدث أبي الحسن علي بن محمد الواسطي الشافعي المشهور بابن المغازلي / ٢٠١، والرياض النضرة / المحب الطبري ٢ / ١٧٨ وينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي ص ٧٩، وغيرهم بأسانيدهم.

(٢) الكامل في التاريخ / لابن الأثير الجزري الشيباني ١ : ٥٤ ـ ٥٥، ط بيروت، ١٩٦٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٧٣.

(٤) نفس المصدر، ص ١٢٥.

(٥) نفس المصدر، ص ١٩٨.

(٦) نفس المصدر، ص ٢٢٧ (وهذا العرض لموضوع الوصية من آدم فما دونه من الأوصياء (ع) عرضه الطبري في تاريخه. فراجع ١ : ١٠٧ و ١١٥ وغيرها.

الكوكب من خلال رسل الله وأوصيائهم عليهم الصّلاة والسّلام.(١)

ويستطيع المتتبع أن يجد على صفحات تاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الأثير الجزري ومروج الذهب للمسعودي الهذلي وغيرها استعراضاً لحلقات الوصيّة من آدم (ع) فما دونه..

إلّا أنّ الطبري وابن الأثير على سبيل المثال يكتفيان بمتابعة حلقات الوصية إلى عيسى (ع) أو محمّد خاتم النبيّين (ص)، الأمر الذي يذكّر بأن تدوين أحداث التاريخ عموماً تتأثر بالعامل السياسي، فقد يتبنى المؤرخ قضية أو حدثاً أو واقعة يراها منسجمة مع ذوقه أو اتـجاهه الفكـري أو السياسي فيثبتها ويسلط الأضواء عليها، وقد يرى المؤرخ ذلك الحـدث مخالفاً لقناعاته السياسية واتجاهه الفكري فيهمله ويسدل عليه الستار، إذ أن التاريخ يتحكّم فيه العامل الذاتي كثيراً، حتى أنه بسبب ذلك لا يرتفع إلى مستوى العلوم الطبيعية المألوفة في البعد الواقعي.

وإذا عدنا إلى تاريخ الرسالات المباركة، فإننا نجد إنّ الروايات التي لم تتأثر بالعوامل السياسية المعارضة لنظام الوصية تعكس الحقائق التالية:

فقد روى الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق (توفي ٣٨١ هـ) روايات شتى باسناده إلى الإمام أبي جعفر الباقر والإمام أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق (ع)، وغيرهما ما هذا مفاده:

قال: قال رسول الله (ص): أنا سيّد النبيّين، ووصيي سـيّد الوصـيّين،

---

(١) يلاحظ كتاب «إثبات الوصيّة» للمسعودي الهذلي.

وأوصياؤه سادة الأوصياء، إنّ آدم (ع) سأل الله (عزّوجلّ) أن يجعل له وصيّاً صالحاً، فأوحى الله (عزّوجلّ) إليه: إنّي أكرمت الأنبياء بالنبوّة ثمّ اخترت من خلقي خلقاً وجعلت خيارهم الأوصياء فأوحى الله تعالى ذكره إليه يا آدم أوصِ إلى شيث فأوصى آدم (ع) إلى شيث وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله (عزّوجلّ) على آدم من الجنّة فزوجها ابنه شيثاً، وأوصى شبان إلى محلث، وأوصى محلث إلى محوق، وأوصى محوق إلى غثميشا، وأوصى غثميشا إلى اخنوخ وهو إدريس النبي (ص)، وأوصى إدريس إلى ناحور، ودفعها ناحور إلى نوح (ع)، وأوصى نوح إلى سام وأوصى سام إلى عثامر، وأوصى عثامر إلى برغيثاشا، وأوصى برغيثاشا إلى يافث، وأوصى يافث إلى بره، وأوصى بره إلى جفسيه، وأوصى جفسيه إلى عمران، ودفعها عمران إلى إبراهيم الخليل (ع)، وأوصى إبراهيم إلى ابنه إسماعيل، وأوصى إسماعيل إلى إسحاق، وأوصى إسحاق إلى يعقوب، وأوصى يعقوب إلى يوسف، وأوصى يوسف إلى بثريا، وأوصى بثريا إلى شعيب، ودفعها شعيب إلى موسى بن عمران (ع)، وأوصى موسى بن عمران إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى داود، وأوصى داود إلى سليمان (ع)، وأوصى سليمان إلى آصف بن برخيا، وأوصى آصف بن برخيا إلى زكريا، ودفعها زكريا إلى عيسى بن مريم (ع)، وأوصى عيسى بن مريم إلى شمعون بن حمون الصفا، وأوصى شمعون إلى يحيى بن زكريا، وأوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، وأوصى منذر إلى سليمة، وأوصى سليمة إلى

بردة، ثمّ قال رسول الله (ص): ودفعها إليَّ برده، وأنا أدفعها إليك يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحد بعد واحد حتّى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفرنّ بك الأمة ولتختلفنّ عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذ عنك كالشاذ منّي والشاذ منّي في النار والنار مثوى الكافرين[١].

ويلاحظ من تاريخ الرسالة السماوية الخاتمة التي ابتعث الله تعالى بها محمد بن عبدالله، صلّى الله عليه وآله وسلّم، رسولاً للعالمين، إن تكييفاً داخلياً جرى لنظام الوصيّة بعد رسول الله الخاتم (ص) يتناسب، وعملية ختم الرسالة، وما تقتضيه مهمة ختم النبوّة بمحمد بن عبدالله (ص) في الواقع الخارجي، وما تفترضه هذه العملية من تكييف لمضمون الوصية، وخصوصيات الأوصياء الأثني عشر الذين أجمع المسلمون على حتمية وجودهم بعد الرسول الخاتم (ص) لاكمال دوره في تجذير هذه الرسالة وإرساء قواعدها في العالم.. وتربية الأجيال وفق مفاهيمها.

---

(١) من لا يحضره الفقيه / للمحدث أبي جعفر الصدوق بن بابويه القمي ٤: ١٢٩ ـ ١٣٠، ط طهران ١٣٩٠ هـ. ق المتوفى ٣٨١ هـ، ومثله في كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق نفسه، ص ٢١١ ـ ٢٥٠، باب ٢٢، إتصال النبوّة من لدن آدم (ع)، ط طهران ١٣٩٥، ومثله في علم اليقين في أصول الدين، للمحدث محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني ١: ٣٩١ ـ ٣٩٥ المتوفى ١٠٩١ هـ، ط ١٤٠٠، وقد فصّل العلّامة المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي المتوفى ٣٤٦ هـ في كتاب (إثبات الوصيّة) موضوع الوصيّة من آدم (ع) فما دونه بشكل كامل، فليراجع.

فقد أثبت التاريخ الصحيح لرسالات السماء: إنّ غالبية أوصياء الأنبياء المرسلين (ع) قبل الرسول الخاتم (ص)، كانوا يتمتعون بالخصائص التالية:

١ ـ إنّهم أنبياء كرسلهم بيد أنّهم في مقام دون مقام الرسول الذي عينوا له أوصياء ـ في الأعم الأغلب ـ فهارون بن عمران دون مقام موسى الرسول (ص) ومكانة يوشع بن نون الوصي دون مقام موسى النبي (ص) في مقام الرسالة الإلهيّة، والعلاقة بالغيب ودرجة التلقي عن الله عزّوجلّ، ودرجة شمعون الوصي دون مقام عيسى الرسول (ص) وهكذا بالنسبة إلى سام الوصي بالنسبة لأبيه نوح الرسول (ع)، وغيرهم (ع).

٢ ـ إنّ تعيين الوصي من مهام الله عزّوجلّ، وخصوصياته دون سواه، فالله أعلم حيث يجعل رسالته..

٣ ـ إنّ درجة تلقي الوصي ـ غير الرسول ـ عن الله تعالى من معارف التشريع والقيم الربانية، وسواها هي دون درجة تلقي رسوله (ع)، كما إنّ من خصائص الأوصياء ـ الذين لم يكونوا أصحاب رسالات ـ إنّهم لا ينسخون الرسالة التي أوصوا بصيانتها، وإنما يتحركون في إطارها،ويعمقون مفاهيمها بالتربية، والأعداد، وتذكير الناس، وإرشادهم..

هذا في أوصياء الرسل الذين سبقوا أيام الرسول الخاتم محمّد بن عبدالله (ص) وهذا هو نظام الوصية في تلك المراحل، وخصوصياته..

أما نظام الوصية بعد النبي الخاتم (ص)، فهو قد حمل تكييفاً يتناسب وعملية ختم النبوّة بمحمد رسول الله (ص) كما شاء الله ربّ العالمين..

وهذه بعض الملامح الكبرى لنظام الوصية بعد الرسول الخاتم (ص):

١ ـ إنّ أوصياء محمّد رسول الله (ص) باجماع المسلمين اثنا عشر إماماً وصياً، «وإنّ سمتهم بعض النصوص خلفاء أو أمراء، أو قيّمين»، وقد حاولت بعض النصوص أن تربط بين هذه الحقيقة المميزة للرسالة الخاتمة، وحقيقة ما جرى في أمة موسى (ع) تذكيراً بواقع جرى في تاريخ الرسالات الكبرى، فقد ذكر الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود عن رسول الله (ص) إنّ عدّة من يخلف النبي (ص) في رسالته وأمته اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل.(١)

---

(١) نقلاً عن معالم المدرستين، ج ١، للعلّامة السيد مرتضى العسكري، ص ٣٣٣ ـ ٣٣٥، بروايته عن صحيح مسلم، ج ٤٣/٦، باب (الناس تبع لقريش من كتاب الامارة) واخترنا هذا اللفظ من الرواية لأن جابر كان قد كتبها، وفي صحيح البخاري، ج ١٦٥/٤، كتاب الأحكام وصحيح الترمذي باب ما جاء من أبواب الفتن، وسنن أبي داود، ج ١٠٦/٣، كتاب المهدي، ومسند الطيالسي الحديث، ٧٦٧ و ١٢٧٨، ومسند أحمد، ج ٨٦/٥، ٩٠ و ٩٢ ـ ١٠١ و ١٠٦ ـ ١٠٨، وكنزالعمال، ٢٦/١٣ ـ ٢٧، وحلية أبي نعيم، ٣٣٣/٤، وجابر بن سمرة بن جنادة العامري ثم السوائي، ابن أُخت سعد ابن أبي وقاص، وحليفهم مات بالكوفة بعد السبعين وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثاً، ترجمته بأسد الغابة وتقريب التهذيب وجوامع السيرة، ص ٢٢٧.

فتح الباري، ٣٣٨/١٦، ومستدرك الصحيحين، ٦١٧/٣.

منتخب الكنز، ٣١٢/٥، تاريخ ابن كثير، ٢٤٩/٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٠، كنزالعمال، ٢٦/١٣، الصواعق المحرقة، ص ٢٨.

صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٠٢/١٢، الصواعق المحرقة، ص ١٨، وتاريخ الخلفاء

⟸

٢ ـ إنّ اولئك الأوصياء الأطهار ينهضون بدور أوصياء الرسل السابقين تماماً من ناحية صيانة الرسالة، وتجذيرها، وتربية الأجيال عليها، وحفظها من عمليات التحريف، ولكنهم لا يحملون صفة النبوّة، فلا نبي بعد محمد (ص)... قال رسول الله (ص) مخاطباً عليّاً (ع): «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي».

٣ ـ إنّ وعي الأئمة الأوصياء (ع)، واستيعابهم لمتطلبات الرسالة الخاتمة يتم من خلال مصدرين اثنين معاً:

أ ـ الوراثة المباشرة عن النبي صلّى الله عليه وآله حيث ورثوا علماً مكتوباً بإملاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وخط عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فقد تحدث الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السّلام، وهو

⟸ للسيوطي، ص ١٠.

كنزالعمال، ٢٧/١٣.

كنزالعمال، ٢٧/١٣، عن ابن البخار.

مسند أحمد ٣٩٨/١، و ٤٠٦، قال أحمد شاكر في هامش الأول اسناده صحيح ومستدرك الحاكم ولخصه الذهبي، ٥٠١/٤، وفتح الباري، ٣٣٩/١٦، مختصراً، ومجمع الزوائد، ١٩٠/٥، والصواعق المحرقة لابن حجر، ص ١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٠، والجامع الصغير له، ٥٧/١، وكنزالعمال للمتقي، ج ٢٧/١٣. وقال أخرجه الطبراني ونعيم بن حماد في الفتن، وفيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي، ٤٥٨/٢، وأورد الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود، باب ذكر الأئمة الأثني عشر الذين كلهم من قريش، ٢٤٨/٦ ـ ٢٥٠.

ابن كثير، ٢٤٨/٦، وكنزالعمال ٢٧/١٣، وراجع شواهل التنزيل، للحسكاني، ج ٤٥٥/١، ٦٢٦.

سادس أئمة أهل البيت عليهم السّلام حول هذا الموضوع بما يلي: فقد أخرج الكليني (رض) باسناده عن أبي بصير (رض) قال: «**دخلت على أبي عبدالله عليه السّلام فقلت له: جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة:ها هنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبدالله عليه السّلام ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه ثمّ قال: يا أبا محمّد سلْ عمّا بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدثون إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله علَّم عليّاً عليه السّلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علَّم رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السّلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قلت: هذا والله العلم، قال: فنكت ساعة في الأرض ثمّ قال: إنّه علم وما هو بذاك.**

قال: ثمّ قال: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلّى الله عليه وآله واملائه من فلق فيه وخط علي بيمينه، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش وضرب بيده إليّ فقال: تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرش هذا ـ كأنه مغضب ـ قال: قلت هذا والله العلم»[١].

ب ـ الإلهام الإلهي: أما العلوم المستجدة، فإن الأئمة من أهل البيت

---

(١) الأصول من الكافي لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (رض)، ج ١، ص ٢٣٩، ط ٣. الأرش: الغرامة.

عليهم السّلام يلهمونها إلهاماً، ولا نبيّ بعد محمّد صلّى الله عليه وآله وقد تحدثوا عن هذه الظاهرة مراراً، فقال الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم عليه الصّلاة والسّلام: «**مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث فأما الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا**»(١).

وسئل أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام: «**أخبرني عن علم عالمكم؟ قال: قلت: أنّا نتحدث أنّه يقذف في قلوبكم وينكث في آذانكم، قال: أوَ ذاك**»(٢).

وروى الكليني عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام قال: «**سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثمّ قال: يا جابر إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحَدَثان إلّا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب**»(٣).

والسؤال الذي يظل مطروحاً هنا هو كيف يميّز العباد الإمام الحق من إمام الباطل؟

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٦٤. الغابر: الآتي والمزبور: المكتوب، القذف والنقر يعني الإلهام وحديث الملك).

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٢٦٤. أوَ ذاك: يكون ذا ويكون ذاك.

(٣) أصول الكافي، ح ١، ص ٢٧٢.

لقد بات من الواضح جداً إنّ الأنبياء (ع) حين يصدعون بدعوتهم أمام الأمم يشفعون تلك الدعوة بتقديم الدليل على ارتباطهم بالله عزّوجلّ فيكون ذلك «الدليل» المقدم من قبل النبي (ع) غير قابل للتعلّم والتعليم، حيث تعجز القوى البشرية عن الإتيان به.

وفي أغلب الأنبياء الرسل (ع) يكون المعجز مفصولاً عن تعاليم الرسالة الإلهيّة المبعوث بها النبي (ع)، كما في حالة موسى النبي (ع) الذي كانت رسالته مودعة في التوراة، بينما كان الدليل على ارتباطه بالله عزّوجلّ الذي عجز الناس عن الإتيان به، هو عصاه، ويده البيضاء، وما إلى ذلك من شؤون...

وكان ابراء الأكمه والأبرص، واحياء الموتى إحدى الأدلة المعجزة على ارتباط عيسى النبي (ع) بالله تعالى، بينما كانت رسالته الإلهيّة مودعة في الإنجيل... وللخصوصية التي امتازت بها الرسالة الخاتمة، كانت معجزة محمد رسول الله (ص) هي رسالته ذاتها حيث كان القرآن الكريم هو المعجزة الربانيّة الخالدة التي حملها الرسول الخاتم (ص)، كما كانت تلك المعجزة ذاتها تحمل الرسالة الخاتمة بين يديها إلى الناس.

الأمر الذي وفر أبرز عوامل الخلود لهذه الرسالة المباركة التي تمثل بالتحدي الدائم للبشر أن يأتوا بمثل القرآن الكريم...

وهكذا يتضح ان المعجزة آية تسعى بين أيدي الرسل (ع) للتدليل على ارتباطهم بالله عزّوجلّ، لتوفر أرضية الإيمان بهم، ثمّ بالذي يأتون به من عند الله عزّوجلّ!

أمّا أوصياء الرسل عليهم السّلام، فإن أداتهم المركزية في توفير الثقة بكونهم أوصياء للرسل، وفي أحقيتهم في التبليغ بالدعوة، والهداية للناس كورثة شرعيين للرسل (ع)، إنّما هو «نص» الرسل (ع) عليهم، وتبليغ أممهم بذلك النص؛ بهذه الطريقة أو تلك..

فقد نص آدم على شيث

ونص موسى على يوشع بن نون بعد وفاة هارون

ونص عيسى على شمعون

ونص محمد على علي بن أبي طالب

كما نص محمد (ص) على الأئمة الاثنى عشر من عترته.

فالنص الرسمي من الرسول (ع) على أوصيائه يعد جزء من رسالته، وضماناً لديمومتها، وبقائها واستمراراً لوجودها المبارك.

ولذا خاطب الله عزّوجلّ، رسوله الكريم محمد بن عبدالله (ص) ببيان صريح ﴿**يا أيّها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك، فإن لم تفعل، فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من النّاس**﴾ [١].

فالرسول محمد (ص) بنص القرآن الكريم إن لم يبلّغ بصمام الأمان الحافظ للرسالة بعده، وهم أوصياؤه المعصومون الحافظون لدين الله الخاتم، فكأنه لم ينهض بمهمة تبليغ الرسالة، لأنه لم يوفر الضمانات لبقائها، واستمرارها في حياة الناس!!

وحين نتحدث عن النصوص الرسمية الواردة عن رسول الله (ص)

(١) المائدة / ٦٧.

بشأن التبليغ بمن هم أوصياؤه بعده، فإننا نجد سيلاً متدفقاً من الأحاديث بعضها يجمل الأئمة باثني عشر إماماً كلّهم من قريش، وهذا المضمون مما أجمعت السنة، والشيعة عليه[1] ـ وبعض النصوص يدور في إطار التفصيل، فيذكر الأئمة الأثنى عشر واحداً، واحداً، بأسمائهم وصفاتهم المعنوية، ومهامهم أحياناً[2] ـ كما سنجد في ثنايا هذا البحث المتواضع إن شاء الله تعالى.

أما ما حفظته السير المطهرة، وكتب السنن من معاجز وكرامات للأئمة الأطهار، فإنّه رغم قيمتها الروحية، والعلمية في حياة المسلمين، ومشاعرهم، فانّه لا يعد أساسياً مقارنة للنصوص الصحيحة بخصوص إمامتهم، وحملهم لمهام الوصية لرسول الله (ص) فإن تكليف المسلمين تجاه أوصياء الرسول (ص) تحدده النصوص التي تؤهلهم للمواقع التي يحتلونها في حياة المسلمين الروحية، والعقائدية، أما الكرامات فإنّها من الشؤون المساعدة على ذلك...

أما شروط العصمة، والأعلمية التي يجب توفرها في الأوصياء عليهم السّلام، فإنّها من الأدوات التي يحقق بها الوصي الإمام (ع) مهمته

---

(١) أنظر إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحرّ العاملي ١ / ٤٣٣ ـ ٧٦٧، باب ٩.

(٢) كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر، الشيخ أبوالقاسم علي بن محمد الخزّار القمي الرازي، والحافظ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، ٤٤٠ ـ ٤٤١، وأبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم في مقتل الحسين (ع)، ٩٤/١، وعيون أخبار الرضا (ع)، للشيخ الصدوق، ٤٠ ـ ٦٩، وغيرهم.

الرسالية في دنيا الناس، فهي في سلم الأولويات تأتي بعد إرساء قواعد النص النبوي على الوصي عليه السّلام...

ويحتل الوصي التاسع لرسول الله (ص) الإمام أبو جعفر محمد بن علي بن موسى المعروف بالجواد عليه السّلام، موقعاً خاصاً في ما عرضناه، فهو لصغر سنّه عند تصديه للإمامة بعد أبيه الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع)، خلق جواً من التساؤل، والدهشة، والتشكيك... إلّا أنّ النص الجلي بأمامته قطع ألسنة التساؤل، في داخل الإطار الخاص لأتباع أهل البيت (ع)، إلّا أنه عزز موقعه بما كشفه عن حجب كثير في الحقائق تباعاً على المستوى الفكري، والفقهي مما لم يتسنّ لإنسان في سِنِّهِ إلّا لمن يحظى بتسديد رباني خاص، كما سيتضح من مناقشاته، وإجاباته العلمية المميزة، وما تركه من تراث علمي مسدد..

إنّ تصدي الإمام أبي جعفر الجواد (ع) للإمامة، وهو في تلك السن المبكرة، بل وحتى إذا افترضنا تصديه في ضعف تلك السن المبكرة لا يمكن أن يفسر تفسيراً طبيعياً، وإنّما لابد من توفره على إمداد ربّاني خاص، اختصّ به أهل هذا البيت المطهّر صلوات الله عليهم أجمعين.

المؤلف

غرة شهر رمضان / ١٤٢٢هـ

تمهيد بين يدي البحث

الحمد لله الّذي منّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله دون الأمم الماضية، والقرون السالفة، والصّلاة والسّلام على محمّد أمين الله على وحيه، ونجيبه من خلقه وصفيه من عباده، إمام الرحمة، وقائد الخير ومفتاح البركة[1]، وعلى آله الطيّبين الطاهرين «إزمَّة الحق، واعلام الدين، وألسنة الصدق»[2] و«شجرة النبوّة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم»[3]، وبعد:

فإنّ جلّ الأبحاث والدراسات التي خصصت لدراسة سيرة الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم الصّلاة والسّلام قد انتهجت منهجين:

١ ـ دراسة الفضائل الشخصية للأئمة (ع) بضمنها خدماتهم للإسلام والأمة إضافة إلى دراسة المحن والمعاناة التي تعرضوا لها عبر حياتهم الشريفة.

٢ ـ أو الاهتمام بأبراز المزايا التي تؤهل أهل البيت (ع) لقيادة المسلمين سياسياً وتُفضّلهم على غيرهم من الناس.

---

(١) فقرات من الدعاء الثاني من أدعية الصحيفة السجاديّة.

(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم ٨٧.

(٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٠٩.

ولعلّ الاتجاه الأول أكثر الاتجاهين شيوعاً في كتابات حول سيرة أهل البيت (ع) قديماً وحديثاً، أما النهج الثاني فقد تبناه بعض كتّاب السيرة مثلاً بخصوص تفضيل أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على سواه في مسألة خلافة المسلمين وقيادتهم، وهكذا في سائر الهداة من آل محمد (ص).

وقد يجمع بعض المهتمين بالسيرة الشريفة بين المنهجين في دراساتهم كما يلاحظ ذلك في كثير من كتابات الشيعة الإمامية (ع) على وجه الخصوص وكتابات البغداديين من المعتزلة القائلين بتفضيل علي (ع) على غيره من الصحابة دون غيرهم من المعتزلة.

على أنّ المنهج الأصيل لدراسة حياة الأئمة (ع) ليس واحداً من المناهج المذكورة أبداً، فالذي يدرس حياة رسول أو وصي رسول، وينصب بحثه على الخصائص الذاتية والأعمال والمعاناة لهذا الرسول أو ذاك الوصي دون أن يهتم بأبراز جانب النبوّة أو وظيفة الوصيّة، فإنّ مثل هذه الدراسة لا تحظى بالأصالة في إتجاهها، وإن كانت تهتم بالبنىٰ الفوقية الهامة لشخصية الرسول أو الوصي عليهما السّلام.

إنّ هذه الحالة هي التي تمّ التعامل من خلالها مع سيرة الأئمة الهداة من آل محمد (ص) ولعلّ السبب في بروز هذا الاتجاه في التعامل مع سيرة أهل بيت المصطفى (ص) يعود إلى ظروف التقية التي مرّ بها أتباع الأئمة (ع) عبر التاريخ، إضافة إلى الصراعات الفكرية ـ السياسية التي شهدتها عهود تاريخية طويلة من حياة المسلمين.

على أن مسار الدراسات ينبغي أن يصحح ويعود المنهج الأصيل لدراسة حياة الأئمة (ع) إلى موقعه في الحياة الفكرية للمسلمين كما كان يفعل علماؤنا السابقون من أمثال ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (رض)[١]، وشيخ القميين أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار[٢] (رض)، ورضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني الحسيني (رض)[٣] وغيرهم، حيث أنه إذا اعتُمد هذا المنهج في دراسة حياة الأئمة (ع) تكون المناهج الأخرى لبنات لتشييد البناء الفوقي في دراسة حياتهم وسيرتهم صلوات الله عليهم أجمعين.

إنّ المنهج الذي ندعو إلى العودة إليه يهتم أساساً في إبراز موقع أيّ إمام من أئمة أهل البيت (ع) باعتباره وزيراً للنبوّة ووصياً لرسول الله (ص)، يمارس نفس المهام التي كان رسول الله (ص) يمارسها في حياة الأمة اصالة في التبليغ عن الرسول (ص) وعصمة في الفكر والسلوك، واختياراً لهذه المهمة من عند الله تعالى، وكل ما يسجله التاريخ من حكمة ورصانة وعدل وتقوى ليس لها نظير إنّما هي رشحات لذلك الموقع الذي أحلّ الله تعالى الإمام (ع) فيه، واختاره له.

---

(١) في كتابه الجليل: الكافي، ج ١ (توفي الكليني عام ٣٢٩ هـ).

(٢) في كتابه الجليل: بصائر الدرجات (توفي المرحوم ابن فروخ عام ٢٩٠ هـ وهو من أصحاب الإمام الحسن العسكري (ع).

(٣) في كتابه الجليل: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف والمؤلف (توفي عام ٦٦٤ هـ).

إنّ اعتماد هذه المنهجية الأصيلة لا يعطي نتائج إيجابية على مستوى دراسة السيرة المطهرة فحسب وإنّما لها قيمتها الحيوية، في مجال العقيدة، والثقافة وفي فهم التاريخ، وفي إدراك حقيقة دور الأئمة من آل محمد (ص) في التاريخ الإسلامي، والحياة الإسلامية.

وحينئذٍ يمكننا أن نعي وعياً معمقاً معنى قول رسول الله (ص):

«من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتدِ بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي، خُلقوا من طينتي ورزقوا فهمي، وعلمي»[١].

كما ويمكننا أن ندرك المعنى الحقيقي لقول علي أميرالمؤمنين (ع) في الأئمة من آل محمد (ص):

«لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...»[٢].

«وإنّما الأئمة قُوّام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم،

---

(١) كنزالعمال، ج ٦، ص ٢١٧، حديث رقم ٣٨١٩. وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده.

(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢.

وأنكروه»[١].

وهكذا جاء هذا البحث الذي بين يديك، والذي يدور حول سيرة تاسع أئمة أهل البيت الإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد (ع) محاولاً تكريس هذا المنهج المتوخىٰ.

---

(١) نفس المصدر، خطبة رقم ١٥٢.

سطور حول الهوية الشخصية!

ـ الإمام الجواد عليه السّلام هو محمد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي السجاد بن الإمام أبي عبدالله الحسين سبط رسول الله (ص) بن الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليهم جميعاً آلاف التحية والسلام.

ـ يكنى الإمام الجواد بأبي جعفر الثاني تمييزاً له عن جده الإمام محمد بن علي الباقر (ع) الذي يكنى بأبي جعفر.

ـ ولد الإمام الجواد في مدينة جده المصطفى (ص) في شهر رمضان من عام ١٩٥ هـ. كما في رواية الشيخ المفيد (رض)[١]. أو في رجب المرجب في نفس العام، وتوفي في بغداد مسموماً في بداية حكم المعتصم العباسي أواخر ذي القعدة من عام ٢٢٠ هـ[٢]، ودفن في مقابر قريش ببغداد عند قبر جده الإمام موسى الكاظم عليهما السّلام، وكان

---

(١) الإرشاد، ص ٣١٦، مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

(٢) الإرشاد، ص ٣١٦.

عمره عند وفاته خمساً وعشرين سنة.

ـ آتاه الله الحكم وإمامة المسلمين وهو ابن سبع أو ثماني سنوات وتولى الإمامة سبع عشرة سنة بعد وفاة أبيه (ع).[١]

ـ يلقب بالقانع والتقي والمرتضى وأشهر ألقابه الجواد، والتقي، ولقد خلف من الأولاد علي الهادي الإمام العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السّلام وموسى وحكيمة وخديجة وأُم كلثوم وامامة وفاطمة ـ بجمع الروايات ـ.

ـ وأُمه سبيكة من أهل النوبة جنوب مصر من قوم مارية القبطية زوج النبي صلّى الله عليه وآله، ويقال إن الإمام علي بن موسى الرضا دعاها بالخيزران، وتكنى أُم الحسن.

اقترن بزوجتين كما ذكر المؤرخون، إحداهما: سمانة المغربية وهي أُم ولده الإمام علي الهادي عليه السّلام، والثانية: زينب بنت المأمون المعروفة بأُم الفضل.

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٩٧.

الفصل الأوّل

وآتيناه الحكم صبيّا

مدخل

ثمة مسألتان جوهريتان تفرضان وجودهما على الباحث وهو يستعرض حياة أي وصي من أوصياء رسول الله محمد بن عبدالله صلّى الله عليهم أجمعين:

١ ـ المهام والمسؤوليات المناطة بالأئمة الأوصياء (ع).

٢ ـ المؤهلات والخصائص التي يملكها الوصي الإمام (ع).

ولكي نلم الملامح العامة لهاتين المسألتين نقول:

إنّ الإمامة في المنظور الإسلامي الواقعي لها إنّما هي استمرار للنبوّة وامتداد عضوي مكمل لها كما توحي بهذا الفهم عدة نصوص مقدسة، أصيلة يجمع عليها المسلمون كقوله تعالى: ﴿إنّما وليُّكم الله ورسوله والّذين آمنوا: الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (١).

(المائدة ٥٥ – ٥٦)

---

(١) ذكر المفسرون أن آية الولاية قد نزلت في علي بن أبي طالب (ع)، حيث قرن الله عزّوجلّ ولاية علي (ع) أميرالمؤمنين بولاية الله وولاية رسوله (ص). يراجع مناقب علي بن أبي طالب للحافظ ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن الواحدي في أسباب النزول وابن كثير في تفسيره والطبري في تفسيره وكنزالعمال والدر المنثور والحاكم في علوم الحديث والكنجي في كفاية الطالب وغيرها أنظر بين ص ٣١١ – ٣١٤، من مناقب أبي المغازلي الشافعي.

وكقول محمّد رسول الله (ص): «**إنّي مخلّف فيكم الثِقلَين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**».(١)

وكقوله (ص): «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي**».(٢)

والأئمة الأثنا عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) يمتلكون المؤهلات الذاتية التي يمتلكها أي نبي من أنبياء الله تعالى، إلّا أن الإرادة الإلهيّة قضت أن تختم النبوّة في الأرض برسول الله محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبالنظر للشرف الرفيع الذي خص به محمد (ص) دون سائر أنبياء الله تعالى جميعاً لكونه حامل لواء الخاتمية لحلقات رسل الله تعالى، فقد تحولت مواقع هؤلاء الهداة الأطهار (عليهم السّلام) إلى أوصياء للرسول الخاتم (صلّى الله عليه وآله) ينهضون بنفس المهام الفكرية والاجتماعية التي كان ينهض بها النبي محمد (ص)، كما جرى في كل أمة من أمم الأنبياء الكبار (ع)، دون الوحي والنبوّة التي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه والحاكم في مستدرك الصحيحين وأحمد بن حنبل في مسنده والمتقي في كنزالعمال وغيرهم (باختلاف يسير بينهم في الألفاظ).

(٢) أخرجه الحافظ أبوالحسن علي بن محمد الواسطي الشافعي (ابن المغازلي): «م في ٤٨٣ هـ»، في خمسة عشر طريقاً. راجع مناقب علي بن أبي طالب (ع) ص ٢٨ - ص ٣٧، طهران المطبعة الإسلامية ١٣٩٤ هـ. كما يراجع مختصر صحيح مسلم، الحديث ١٦٣٩ بروايته عن سعد بن أبي وقاص ط (وزارة الأوقاف الكويتية ١٩٦٩).

اختص بها الأنبياء (ع).

وإلى هذا المعنى أشار رسول الله (ص) قائلاً: «**إنّ الله اختار لكل نبي وصياً، وعليّ وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي**»[١]، والعلاّمة الفارقة بين رسول الله (ص)، وأوصيائه الأثني عشر (عليهم الصّلاة والسّلام)، إنّهم جردوا من مقام النبوّة.

وهنا ندرك العلامة الفارقة الوحيدة بين أوصياء الأنبياء السابقين (عليهم السّلام) وأوصياء النبي الخاتم (ص)، فإن أوصياء الأنبياء السابقين كانوا أنبياء أيضاً بصريح الأحاديث[٢]، إلّا أن إرادة الله تعالى وبسبب الشرف الذي خص به النبي الخاتم محمد (ص)، اقتضت أن يتمتع أوصياء محمّد رسول الله (ص) بنفس المؤهلات الذاتية التي يتمتع بها الأنبياء أيضاً، ولكنهم لا يوحى إليهم بالطريقة التي يوحى بها للنبي (ص) كما سيتضح، ولم يعطوا مقام النبوّة كما أشرنا.

ومن الجدير ذكره إنّ مبادئ العقيدة الإسلامية تسجل فروقاً بين

---

(١) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه والحمويني الشافعي في فرائد السمطين وأحمد بن حنبل في حديث الوصية (يشبهه) والثعلبي في الكشف والبيان وابن المغازلي في مناقبه مثله (نقلاً عن علي والوصية ص ٢٣٥).

(٢) ينظر أسماء الأوصياء الواردة في حديث الإمام الصادق (ع) الذي أورده علم اليقين في معرفة أصول الدين: الفيض الكاشاني (م ١٠٩١ هـ) ج ١، ص ٣٩٢ - ٣٩٣، ط بيدار ١٤٠٤ هـ، وكمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق (رض)، ج ١، ص ٢١٣ - ص ٢٢٠ باسناده عن الإمام محمد بن علي الباقر (ع)، والوصية للمسعودي.

الرسول، وأوصيائه من ناحية كيفية تلقي معارف الرسالة الإلهية وأحكامها فإذا كان النبي الرسول (ص) يتلقى معارف التشريع الإلهي بواسطة سفير الله، ووحيه جبريل (ع) الذي يسمع منه الرسول (ص) ويراه في النوم واليقظة، فإن الوصي الإمام (ع) يتلقى معارف التشريع الإلهي أمّا من الرسول مباشرة أو من وصي له (صلّى الله عليه وآله) مفترض الطاعة.

وأما ما يستجد من أمور فإن وسيلة الإمام لتلقي معارف التشريع الإلهي حولها هو الإلهام.(١)

ويحسن أن نورد نماذج من النصوص الكريمة التي تشخص هذه الحقائق:

أخرج الكليني الرازي (رض) بسنده عن زرارة قال: **«سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿وكان رسولاً نبيّاً﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت، ولا يرى، ولا يعاين الملك...»**.(٢)

ويلخص الإمام الصادق (ع) أبعاد العلم الإلهي الذي يملكه الأئمة (عليهم السّلام) بقوله: **«علمنا غابر ومزبور ونكت في القلوب، ونقر في**

---

(١) عقائد الإمامية: الشيخ محمدرضا المظفر، ص ٩٦، ط النجف الأشرف.

(٢) أصول الكافي، ١/١٧٦.

الأسماع، وأن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة عليها السّلام وأن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه».

ولما سئل الإمام (ع) عن تفسير كلامه هذا قال: «أمّا الغابر فالعلم بما يكون وأما المزبور فالعلم بما كان، وأما النكت في القلوب فهو الإلهام والنقر في الأسماع حديث الملائكة، نسمع كلامهم، ولا نرى أشخاصهم.

وأما الجفر الأحمر، فوعاء فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، وأما الجفر الأبيض، فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأُولى، وأما مصحف فاطمة عليها السّلام، ففيه ما يكون من حادث وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة.

وأما الجامعة فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً أملاه رسول الله صلّى الله عليه وآله من فلق فيه وخط عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة حتى إن فيه أرش الخدش، والجلدة، ونصف الجلدة».[١]

بعد هذا علينا أن نشير إلى السبيل الذي يسلكه المكلفون من أجل أن يتعرّفوا على أوصياء الرسول (ص) بشكل قاطع لا يشوبه ريب بالنظر للأهمية البالغة التي يتميز بها هذا الموقع في دنيا الرسالة وتاريخ المسلمين، ومسيرتهم الحضارية من جهة، ولكي يتميز الإمام الحق من

---

(١) الإرشاد، ص ٢٧٤، وأصول الكافي، ج ١، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢ (بشكل أكثر تفصيلاً في الثاني).

إمام الباطل من جهة أخرى، فإن منصب الإمامة قد شهد مصاديق كثيرة من الأدعياء طوال التاريخ إذ نصب الكثيرون أنفسهم أئـمة للـناس دون وجه حق، أسوة بمنصب النبوة الذي شهد نماذج من المتنبئين الكاذبين كمسيلمة الكذاب والقادياني والباب والبهاء وأضرابهم.

وبسبب هذه الملابسات التي تحول بين الناس، وبين معرفة أعـلام الهدى ومنهاج الحق حبا الله عزّوجلّ أئمة الحق (عليهم السّلام) ثـلاث مؤهلات يستدل المكلفون من خلالها على صدق نهوضهم باعباء الإمامة الحقة، وحقيقة خلافتهم للنبي (ص):

١ – العهد إليهم صراحة بالإمامة والوصية مـن الله تـعالى بـواسـطة رسوله الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، أو بواسطة إمـام سـابق مـفترض الطاعة لإمام لاحق.

وفي كتب التاريخ والعـقيدة الإسـلامية والحـديث الشـريف يـلتقي المكلفون عادة مع لونين من النصوص المختصة بهذا الموضوع، بـعضها نصوص عامة واردة عن النبي (ص) مباشرة تنص على أوصياء الرسول (ص) واحداً واحداً ضمن السياق التاريخي لمراحل حـياتهم المـباركة، وبعض النصوص جاءت في إطار إرشاد أو وصية من الإمام السابق للذي يليه ـ كما سيتضح من الفصول القادمة ـ.

٢ – إجراء المعاجز على يد الإمام (ع) بإذن الله تعالى طمأنة للقلوب وإقامة للحجة، وقطعاً لألسنة الباطل.

والسيرة المطهرة زاخرة بألوان من هذه المعاجز التي جرت على أيدي

الأئمة (عليهم الصّلاة والسّلام)، وسنشير لنماذج من ذلك فيما يتعلّق بالإمام الجواد (ع) ـ مدار بحثنا ـ ونستطيع أن نفترض إن التاريخ الإسلامي لو لم يحمل شواهد لمعاجز جرت على أيدي الأئمة الأطهار (عليهم السّلام) لحَكَم العقل البشري السليم بضرورة جريانها على أيديهم (عليهم السّلام) انسجاماً مع المهام التي أنيطت بهم من قبل الله تعالى باعتبارهم أوصياء للرسول الخاتم (ص)، وحملة رسالته العظمى!

٣ ـ إن تاريخ الأئمة من آل البيت عليهم الصّلاة والسّلام وسيرتهم العطرة تؤكد بما لا شبهة فيه إنّ أيّاً منهم لم يتلقَ العلم على أي استاذ معاصر له أبداً؛ فقيهاً كان أو مفسراً أو متكلماً أو محدثاً، ولم تؤثر عن أحد منهم إنّه دخل الكتاتيب أو ما يشبهها علماً بأنهم لم يسألوا عن شيء إلّا أجابوا عنه في وقته دون اللجوء للمراجعة أو التأمل أو ما يشبه ذلك ولم يروِ التاريخ إنّ أحداً منهم سئل عن شيء فقال: لا علم لي!!

الأمر الذي لم يؤثر لأحد سواهم أبداً، فلا نجد في كتب التاريخ أو تراجم الرجال فقيهاً أو محدثاً أو متكلماً أو نحوه إلّا وقد ذكر التاريخ ضمن ترجمة حياته: تربيته وأخذه للمعرفة على يد غيره حسب الفن الذي اشتهر به، كما إنّ التاريخ يروي الكثير من حالات توقف العلماء الفقهاء وأمثالهم عن الإجابة على بعض المسائل أو شكهم في كثير من المعلومات كما هو المألوف لدى البشر في كل العصور والأجيال.

لقد امتاز أئمة أهل هذا البيت المبارك عليهم الصّلاة والسّلام عن سواهم بأن علمهم موروث عن جدهم المصطفى صلّى الله عليه وآله، وما

يستجد من أمر يلهمون الجواب[١] فيه من قبل الله عزّوجلّ بواسطة الروح القدسية التي يحملونها أو بواسطة الملك المكلف بذلك: أخرج الكليني الرازي (رض) بسنده عن الحارث بن المغيرة عن الإمام أبي عبدالله الصادق (ع) قال: قلت: «**أخبرني عن علم عالمكم؟ قال: وراثة من رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومن عليّ عليه السّلام قال قلت: إنّا نتحدث أنه يقدف في قلوبكم، وينكت في آذانكم قال: أو ذاك**».[٢]

وعنه (رض) بسنده عن أبي الحسن الأول موسى بن جعفر (عليه السّلام) قال: «**مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأما الماضي، فمفسر، وأما الغابر، فمزبور، وأما الحادث، فقذف في القلوب، ونقر في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا**».[٣]

وبسنده رحمه الله عن جابر عن الإمام أبي جعفر الباقر (ع) قال: «**سألته عن علم العالم فقال لي: يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلّا روح**

(١) عقائد الإمامية: المرحوم العلّامة المظفر، ص ٩٦.

(٢) الأصول من الكافي، ج ١، ص ٢٦٤. أو ذاك: يكون ذاك.

(٣) نفس المصدر والصفحة. الغابر: الآتي. المزبور: المكتوب. نقر في الأسماع: من طريق الإلهام وكلام الملك.

القدس، فإنّها لا تلهو، ولا تلعب».[١]

وسيلتقي القارئ عبر هـذه الدراسـة حـول الإمـام الجـواد (ع) مـع مصاديق ثرة تؤكد هذه الحقائق التي أشرنا إليها.

(١) نفس المصدر، ص ٤٧٢.

الجواد (عليه السلام) ينهض بأعباء الإمامة

من خلال الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة (عليهم الصّلاة والسّلام) وغيرهم بشأن الإمام الجواد (عليه السّلام) تتجلى حقيقتان:

١ ـ إنّه إمام مفترض الطاعة من قبل الله تعالى، وإن إمامة المسلمين قد انتهت إليه بعد أبيه علي بن موسى الرضا (عليه السّلام)، بعهد من الله وعلى لسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ـ كما سيرد ـ.

٢ ـ إنّ الإمام الجواد (ع) نهض بأعباء الإمامة الشرعية للمسلمين وهو لما يبلغ الحلم أسوة بعيسى بن مريم نبي الله (صلّى الله عليه) حيث نهض بأعباء الرسالة وهو في سن مبكرة، الأمر الذي أشارت إليه جملة من الأحاديث.

فقد أخرج ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني الرازي بسنده عن صفوان بن يحيى قال قلت للرضا (عليه السّلام): «**قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقِرَّ عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين فقال: وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى عليه السّلام بالحجة وهو ابن ثلاث**

سنين».[١]

على أن الحقيقة الثانية التي انفرد بها الوصي التاسع من أوصياء رسول الله (ص) قد وفرت حالة من التساؤل والدهشة لدى أتباع أهل البيت (عليهم السّلام) وحالة من التشكيك لدى أتباع الخطوط الفكرية الأخرى المعاصرة للإمام (عليه السّلام).

فمن مصاديق التساؤل ما أورده ثقة الإسلام الكليني باسناده عن يحيى بن حبيب الزيات قال: **«أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضا عليه السّلام جالساً... فلما نهضوا قال لهم: «القوا أبا جعفر فسلموا عليه وأحدثوا به عهداً، فلما نهض القوم التفت اليَّ فقال: يرحم الله المفضل إنّه كان ليقنع بدون هذا»**.[٢]

وعن الكليني (رض) أيضاً باسناده عن الخيراني عن أبيه قال: **«كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السّلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السّلام، فقال أبوالحسن عليه السّلام: إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتداة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر»**.[٣]

ويشير بعض المؤرخين إلى أن الحيرة والاختلاف بين أتباع أهل البيت

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٢١، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، دارالكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٢٠، وإرشاد الشيخ المفيد، ص ٣١٩.

(٣) كلا المصدرين، ص ٣٢٢ وص ٣١٩.

بسبب تصدي أبي جعفر (ع) للإمامة وهو في سن مبكرة قد بلغت مبلغاً حاداً بعد وفاة أبيه حيث كان عمره دون السابعة ـ كما تشير بعض الروايات(١) ـ أو ثماني سنوات كما تشير أخرى.

ومن مصاديق التشكيك لدى المخالفين ما رواه المؤرخون عن موقف العباسيين من المأمون العباسي حين عزم على تزويج ابنته أم الفضل للإمام الجواد (ع).

فقد ورد في احتجاج أولئك على صاحبهم بهذا الصدد ما يلي: **«إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فأنه صبي لا معرفة له، ولا فقه فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين...»**.(٢)

غير إنّ تلك المواقف المشككة بما أوتي الإمام الجواد (ع) من الفضل والعلم والحكمة بددتها ثلاث حقائق مجتمعة أوكل على انفراد، سنذكرها فيما يلي من حديث:

المصطفى يوصي بحفيده الجواد (عليه السلام)

لقد حفظت السنة النبوية الشريفة المئات من النصوص المقدسة التي تؤكد على أن الأئمة بعد رسول الله (ص)، إثنا عشر إماماً هادياً... وقد تمسكت بعض مصادر السنة الشريفة باجمال هذه القضية الرسالية الهامة،

---

(١) حلية الأبرار / السيد هاشم البحراني (م ١٠٩١ هـ) ج ٢، ص ٣٩٦، ط العلمية، قم.

(٢) الإرشاد: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ص ٣٢٠، ط مكتبة بصيرتي، قم.

ولم تتطرق إلى تفاصيلها، كصحيح البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، بينما تطرقت مصادر ومحدثون آخرون إلى هذه القضية في إطارها الإجمالي، وتفصيلها معاً كالشيخ الصدوق في عيون الأخبار بعدة طرق، والشيخ الكليني في الكافي، والحر العاملي في الجواهر السنية، وأبي القاسم الخزاز الرازي في كفاية الأثر، والحر العاملي في إثبات الهداة، والحافظ سليمان الحنفي في ينابيع المودة، وغيرهم كثير...

ومن الطبيعي أن تهمل بعض مصادر المسلمين تفصيل عدد الأئمة الأثني عشر، وأسمائهم، وخصائصهم، وذلك لأن الظروف السياسية، وذوق الحكام في أكثر فترات حكم المسلمين تعارض نشر التفاصيل الصحيحة لأسماء الأئمة الهداة من آل محمد (ص)، إضافة إلى ظاهرة كتمان الأحاديث الصحيحة التي ابتليت بها سنة رسول الله (ص) من قبل الرواة أنفسهم، أو جامعي الأحاديث في مؤلفات بسبب تحزب المؤلف أو الراوي، كما هو حال الشيخ محمد بن إسماعيل البخاري صاحب «الصحيح» الذي كان ذا ثقافة أمويةمتحيزة فليس من المتوقع أن ينشر أسماء الأئمة الأثني عشر من أهل البيت (ع) في الأجيال، وإنما لابد أن يكتفي بذكر الحديث النبوي الخاص بذلك مجملاً، وهكذا فعل، هو ومن على شاكلته...

حيث أوردوا عن رسول الله (ص) إنه قال: إن أمر الأمة سيليه بعد

الرسول (ص) اثنا عشر أميراً ـ أو خليفة ـ أو إماماً ـ كلهم من قريش[١] ولم يسوقوا الأحاديث التي تناولت تفاصيل أسماء هؤلاء الأئمة أو الخلفاء الذين يلون أمر العباد بعد الرسول (ص)...

هذا ومن الجدير بالذكر إن المحدث الشهير الحر العاملي قد جمع في كتابه القيم «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» مئات الأحاديث بأسانيد معتبرة علمياً ترسخ في ضمير الزمان أسماء الأئمة الأثني عشر من آل النبي (ص) على لسان رسول الله (ص)[٢]، كما فعل ذلك المحدث أبوالقاسم علي بن محمد الخزاز الرازي من علماء القرن الرابع الهجري مثل ذلك، وهي أحاديث رواها صحابة، وتابعون، وعلماء، ومفسرون تجمع الأمة على احترامهم..!

وهذه نماذج من تلك النصوص الشريفة:

١ ـ الأحاديث الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) بطرق السنة والشيعة حول المكانة السامية التي رقى إليها هذا الإمام العظيم، ونهوضه بمسؤولية إمامة المسلمين الشرعية بعد أبيه رغم صباه ـ بعهد من الله تعالى إلى رسوله الكريم صلّى الله عليه وآله ـ وهذه بعضها:

أ ـ فقد أورد الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي نقلاً عن

---

(١) البخاري، ٤/١٦٥، كتاب الأحكام، وصحيح مسلم، ٤٣/٦، باب: الناس تبع لقريش، وغيرهما.

(٢) أنظر المصدر / ١ / ٤٣٣ ـ ٧٥١.

فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عباس (رض) حديثاً عن رسول الله (ص) جاء فيه:

«.. إنّ وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر، فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي، فابنه محمد، فإذا محمد، فابنه علي، فإذا مضى علي، فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن، فابنه الحجة محمد المهدي، فهؤلاء إثنا عشر...».[١]

ب ـ وأورد أخطب خوارزم موفق بن أحمد الحنفي المكي (رض) في مناقبه حديثاً طويلاً بسنده عن رسول الله (ص) ـ نذكر منه مقتضى الحاجة ـ.

«ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جل جلاله: ... قال: التفت عن يمين العرش، فالتفت، فإذا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى، ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنه كوكب دري، فقال: يا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من

(١) ينابيع المودة، الباب السادس والسبعون، ص ٤٤٠، ط ٨، ١٩٦٦م.

عترتك...».(١)

ج ـ عن محمد بن يعقوب الكليني بسنده عن أبي عبدالله الصادق (عليه السّلام) قال:

«قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري، إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك أسألك عنها، قال له جابر: أي الأوقات أحببت، فخلا به في بعض الأيام، فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي: فاطمة بنت رسول الله (ص)، وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب، فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة بنت رسول الله (ص)، فهنيتها بولادة الحسين (ع)، ورأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرّد ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه نور الشمس، فقلت: بأبي وأمي يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله إلى رسول الله (ص) فيه اسم أبي واسم بعليّ واسم ابنيَّ واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك.

قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة، فقرأته، واستنسخته. فقال له أبي فهل لك يا جابر أن تعرضه عليَّ؟ فمشى معه أبي إلى منزل جابر، فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته، فقرأه أبي، فما خالف حرف حرفاً، فقال جابر: أشهد أني هكذا

---

(١) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، الحر العاملي، ص ٣١٢، ط مكتبة المفيد، قم، وروى مثله محمد بن علي بن بابويه في كتابه النصوص على الأئمة الإثنى عشر.

رأيته في اللوح مكتوباً: بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيّه، ونوره، وسفيره وحجابه، ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين عظّم يا محمّد أسمائي وأشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا قاصم الجبارين، ومديل المظلومين، وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلّا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فأياي فاعبد، وعليَّ فتوكل، إني لم أبعث نبياً، فأكملت أيامه، وانقضت مدته إلّا جعلت له وصيّاً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك، وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي، بعد انقضاء مدة أبيه وجعلت حسيناً خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين(١) وابنه شبه جدّه المحمود: محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر، الرّاد عليه كالرّاد عليَّ، حق القول منّي لأكرمنّ مثوى جعفر ولأسرنّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، أتيحت(٢) بعده موسى فتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحداً

---

(١) في بعض النسخ (وزين أولياء الله الماضين).

(٢) في بعض النسخ (أبيحت) وفي بعضها (انتجبت).

منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى عليَّ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليّي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح[١] إلى جنب شر خلقي، حق القول منّي لأسرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سرّي وحجّتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلّا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليّي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي، أخرج منها الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأكمّل ذلك بابنه «م ح م د» رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيّوب فيذل أوليائي في زمانه[٢] وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والدّيلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين، مرعوبين، وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنّة في نسائهم اولئك أوليائي حقاً، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون.

قال عبدالرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسع في دهرك، إلّا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلّا عن أهله».

---

(١) هو ذو القرنين لأن طوس من بنائه كما صرح به في رواية النعماني لهذا الخبر.

(٢) زمانه: زمان غيبته.

د ـ أخرج الإمام الموفق بن أحمد الخوارزمي «أخطب خطباء خوارزم» في كتابه المناقب بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يا جابر إنّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ علي بن الحسين، ثمّ محمد بن علي المعروف بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرِئه منّي السّلام، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ علي بن موسى، ثمّ محمّد بن علي، ثمّ علي بن محمّد، ثمّ الحسن بن علي، ثمّ القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها...».[١]

الإمام يدحض مزاعم المشككين بإمامته

٢ ـ تحدي المشككين بالدليل العلمي: ذكرنا فيما سبق أن حالة الصبا التي تزامنت مع اضطلاع الإمام الجواد (ع) بأعباء الخلافة لرسول الله (ص)، وتصديه لإمامة المسلمين في ذلك الوقت المبكر، قد أوجدت حالة بين الناس تراوحت بين الدهشة والتشكيك، على ان التساؤلات قد تم حسمها بدرجة ما من خلال الأحاديث والتوجيهات والإشارات التي

---

(١) ينابيع المودة، للحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (م ١٢٩٤ هـ) ص ٤٩٤ نقلاً عن المناقب للإمام موفق بن أحمد الخوارزمي. ولمزيد من النصوص النبوية يراجع كتاب: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: الحر العاملي، ١ / ٤٣٣ ـ ٧٥١، نقلاً عن طرقه الكثيرة.

بثها والده الإمام الرضا (ع) بين مقربيه، ورؤساء القوى الموالية لأهل البيت (ع) في البلدان المتعددة كمصر والحجاز والعراق وبلاد فارس وغيرها، إضافة إلى ما نهض به الجواد (ع) نفسه من مهمات لتبديد تلك الأوهام التي أثيرت بشكل وبآخر بعد وفاة الإمام الرضا (ع) مما تعكسه بعض الروايات الواردة بهذا الخصوص:

أورد السيد المرتضى (ع) في عيون المعجزات أنّه: «**لما قبض الرضا (ع) كان سن أبي جعفر (ع) نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد، وفي الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم، وعبدالرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبدالرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبدالرحمن بن الحجاج في «بركة زلول» يبكون، ويتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس بن عبدالرحمن: دعوا البكاء من لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا! ـ يعني أبا جعفر ـ.**

فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه، ولم يزل يلطمه ويقول له: أنت تظهر الإيمان، وتبطن الشك والشرك إن كان أمره من الله جلّ وعلا، فلو أنّه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس...»(١)

ـ وأخرج الشيخ الكليني الرازي (رض) بسنده عن إسماعيل بن بزيع

(١) حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني، ج ٢، ص ٣٩٨.

قال: «سألته ـ يعني أبا جعفر الثاني (ع) ـ عن شيء من أمر الإمام، فقلت: يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين؟ فقال: نعم وأقل من خمس سنين».(١)

ـ وعن الكليني (رض) بسنده عن علي بن أسباط قال: «رأيت أبا جعفر (ع)، وقد خرج عليّ، فأخذت النظر إليه، وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد، فقال: يا علي إنّ الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة، فقد يجوز أن يؤتي الحكمة صبياً، ويجوز أن يعطاها، وهو ابن أربعين سنة».(٢)

وذكر الشيخ شريف الجواهري (ره) في كتابه: إنّ بعض الشيعة توقفوا عن إمامة الجواد (ع) لصغر سنه حتى توجه أكابر الشيعة من العلماء والفقهاء والمتكلمين إلى الحج والتقوا بالإمام (ع) واستفسروا عن مختلف أمور دينهم ودقائق معارف التشريع الإلهي، فلما رأوا عظيم قدر الإمام (ع) بعد أن أظهر لهم من العلوم وأسرارها، ومصاديق المعاجز والكرامات ما لا يترك أي منفذ للارتياب، زالت سحب الشك عن قلوبهم.(٣)

أما بخصوص المشككين بأمامته من المستكبرين والمترفين ووعاظ

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٣) مثير الأحزان: في أحوال الأئمة الإثنى عشر أمناء الرحمن، الشيخ شريف الجواهري، ص ٢٧٢، منشورات الرضي، قم.

السلاطين وأتباعهم، فإن الإمام (ع) قد تصدى لدحض مزاعمهم القاء للحجة، وإجلاء للحق، وصوناً للحقيقة.

وقد ذكرنا فيما سبق إن رؤية حاشية السلطان العباسي «المأمون» وكبراء البيت الحاكم، وخدامهم من الوعاظ والمنظرين للانحراف وحماته تتلخص بالعبارة التالية: «إنه صبي لا معرفة له، ولا فقه...» الأمر الذي يقتضي أن يتحدى الإمام (ع) مرتكزاتهم ونظرتهم الخاطئة للإمامة، ويحدد بالأرقام والمواقف العملية القدرات المميزة لشخصية وصي رسول الله (ص) المختار من الله تعالى لإمامة المسلمين.

وقد توفرت العديد من الفرص المناسبة لاظهار هذه الحقائق الكبرى من قبل الإمام الجواد (ع) نذكر منها ما يلي:

لما أراد المأمون العباسي أن يزوج ابنته أُم الفضل لأبي جعفر (ع)، وهو مازال صبياً استنكر أركان البيت العباسي ذلك، وكبر عليهم، «فخاضوا في ذلك واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا: ننشدك الله يا أميرالمؤمنين إلّا ما رجعت عن هذه النية، وصرفت خاطرك عن هذا الأمر، فأنّا نخاف، ونخشى أن يخرج عنّا ملكنا، ويبزغ عنّا عز ألبسناه الله تعالى، ويتحول إلى غيرنا، وأنت تعلم ما بيننا وبين هؤلاء القوم ـ يقصدون العلويين ـ».

إلّا أن المأمون كان يرى أهمية قصوى لما يقدم عليه من الناحية السياسية والاجتماعية، ولعل تبرئة نفسه من دم الإمام علي بن موسى

الرضا (ع)[١]، واعطاء شيعة أهل البيت (ع) انطباعاً حسناً عنه كان في مقدمة أهدافه السياسية التي تنطوي نفسه عليها.

ومن أجل ذلك راح السلطان العباسي يجادل أقطاب العائلة الحاكمة فيما أقدم عليه قائلاً:

ـ أما ما بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بالأمر منكم...».

ثمّ بين الحاكم العباسي فلسفة إصراره على تزويجه ابنته من الإمام الجواد قائلاً:

«فاخترته لتبريزه ـ لتقدمه ـ على كافة أهل الفضل في العلم، والحلم والمعرفة والأدب مع صغر سنه ـ وكان سن أبي جعفر في ذاك الوقت تسع سنوات ـ فقال أقطاب البيت الحاكم: إنّ هذا صبي صغير السن وأي علم له اليوم أو معرفة أو أدب، دعه يتفقه يا أميرالمؤمنين، ثمّ اصنع به ما شئت.

المأمون العباسي: كأنكم تشكون في قولي!! إن شئتم، فاختبروه أو ادعوا من يختبره، ثمّ بعد ذلك لوموا فيه، أو اعذروا.

قالوا: وتتركنا وذلك؟

المأمون: نعم.

---

(١) الإمام الرضا(ع) استشهد مسموماً على يد المأمون، يراجع مقاتل الطالبين، ص ٥٦٦، وعيون أخبار الرضا (ع).

القوم: فيكون ذلك بين يديك، يترك من يسأله عن شيء من أمور الشريعة فإن أصاب لم يكن في أمره لنا اعتراض، وظهر للخاصة، والعامة سديد رأي أميرالمؤمنين، وإن عجز عن ذلك كفينا خطبه ولم يكن لأميرالمؤمنين عذر في ذلك.

المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم!

وخرج القوم من عنده ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين، فقد أجمع رأيهم على أن يتولى قاضي قضاة الدولة العباسية وشيخ فقهاء السلطة المقدم يحيى بن أكثم مهمة اختبار الإمام الجواد (ع) أمام الناس، ووعدوه بأجر مادي كبير إن هو نجح في إثبات عجز الإمام الفكري والأدبي أمام الناس!!

واتفق القوم مع السلطان العباسي على يوم محدد للحِجاج والمناقشة، فحدد لهم يوماً رسمياً، وقد دعي للحضور العباسيون وحشر «خواص الدولة وأعيانها من امرائها وحجابها وقوادها» فضلاً عن المأمون والقاضي ابن أكثم، وكان يوماً مشهوداً في بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

فقد أعد لأبي جعفر (ع) فراش حسن بأمر من الخليفة، وأجلس القاضي ابن أكثم مقابلاً له، وجلس الناس في مراتبهم حسب الطبقات والمنازل.

ثمّ استأذن القاضي من سيده السلطان أن يسأل الإمام الجواد (ع)، فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فاستأذن ابن أكثم أبا جعفر (ع) في ذلك فأذن له، فقال القاضي: ما تقول جعلت فداك في مُحرِمٍ قَتَلَ

صَيداً.

قال أبو جعفر (ع): قتله في حِلٍّ أو حرم؟

- عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟

- قتله عمداً أو خطأً؟

- حراً كان المحرم أم عبداً؟

- صغيراً كان أو كبيراً؟

- مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟

- من ذوات الطير أو من غيرها؟

- من صغار الصيد كان أو من كباره؟

- مُصِرّاً عل ما فعل أو نادماً؟

- ليلاً كان قتله الصيدَ أو نهاراً؟

- محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان عجزه، وانهياره، حتى انكشف للحضور أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في هذا الرأي، ثمّ نظر لأهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

الإمام يخطب ابنة الخليفة

ثمّ أقبل على أبي جعفر (ع) قائلاً: أخطب يا أبا جعفر (ع)، قال: نعم...

قال المأمون: اخطب جعلت فداك لنفسك، فقد رضيتك لنفسي، وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي، وإن رغم قوم لذلك!

فقال أبو جعفر (ع): **الحمد لله اقراراً بنعمته، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلّى الله على محمد سيد بريته، والأصفياء من عترته، أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام. فقال سبحانه: ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم أن يكونوا فقراء يُغنِهم الله من فضله والله واسع عليم﴾، ثمّ إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبدالله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليهما السّلام، وهو خمسمائة درهم جياداً فهل زوجتنيها يا أميرالمؤمنين على هذا الصداق المذكور؟**

فقال المأمون: **نعم قد زوجتك أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر (ع):**

ـ قد قبلت، ورضيت به.

وبعد خطبة الإمام (ع)، بادر خدم السلطان العباسي إلى توزيع الطيب على الحاضرين، ثمّ نصبت الموائد، فأكل الناس، ووزعت الجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم.

الإمام يحل الإشكالات الفقهية

وبعد أن تفرق أغلب الحاضرين، بقي المأمون وجمع من الخواص في

مجلسهم، فالتفت المأمون إلى أبي جعفر (ع) طالباً منه أن يجيب علـى الأسئلة الفقهية التي طرحها الإمام (ع) بين يدي تساؤل القاضي ابن أكثم السالف الذكر: «إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه، ونستفيده».

فأجاب الإمام الجواد (ع) قائلاً:

«إنّ المُحرِم إذا قتل صيداً في الحل، وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها، فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم، فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حَمْل قد فطم من اللبن فإذا قتله فـي الحـرم، فعليه الحمل قيمة الفرخ، وإن كان من الوحش، وكان حمار وحش، فعليه بقرة، وإن كان نعامة كان عليه بدنة، وإن كان ظبياً، فعليه شاة، فإن قـتل شيئاً من ذلك في الحرم، فعليه الجزاء، مضاعفاً هدياً بـالغ الكـعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه، وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجـاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطاء، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط عنه ندمه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة».

المأمون: أحسنت أبا جعفر أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

أبو جعفر (ع) ليحيى: أسألك؟

ابن أكثم: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عَرفتُ جواب ما تسألني عنه وإلّا استفدته منك!

فبادر الإمام (ع) لإلقاء مسائله الفقهية على كبير شيوخ دولة العباسيين قائلاً: «خبّرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت عشاء الآخرة حلت عليه، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلّت له، ما حال هذه المرأة، وبماذا حلّت وحرمت عليه؟

يحيى بن أكثم: «معلناً عجزه عن الجواب حتى عُرِف في وجهه التغير والخجل» لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه!

الإمام أبو جعفر (ع): «هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار، فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها، فحلّت له، فلما كان الظهر أعتقها، فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها، فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها، فحرمت عليه، فلما كان وقت عشاء الآخرة كفر عن الظهار، فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها،

فحلّت له».

المأمون ـ مخاطباً الحاضرين ـ قائلاً: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ ويعرف القول فيما تقدم من السؤال؟

الحاضرون: لا والله أن أميرالمؤمنين أعلم بما رأى!

المأمون: ويحكم أن أهل هذا البيت خصّوا من بين الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم، لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم إنّ رسول الله (ص) افتتح دعوته بدعاء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام، وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنه غيره، وبايع الحسن والحسين، وهما أبناء دون الست سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما؟

أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وانهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟

قالوا: صدقت يا أميرالمؤمنين!

ومن الجدير بالذكر إنّ الخليفة العباسي قد دعا في اليوم التالي إلى مأدبة عامة حضرها القواد والحجاب والعمال والخواص من أجل أن تقدم له التهاني وللإمام الجواد (ع)، وقد أعدَّ ألواناً من الأطعمة لإطعام الناس، ووزعت عطايا سنية وأموال جزيلة، وقد انصرف الناس من ذلك اللقاء

وهم وافرون من جوائز السلطان كما وزع الخليفة العباسي الصدقات على بقية المسلمين.[١]

(١) استفدنا هذه المعلومات المفصلة من كتاب: كشف الغمة في معرفة الأئمة: للعلّامة أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ره) من علماء القرن الرابع الهجري، ج ٢، ص ٣٥٣ ـ ص ٣٥٨، ط العلمية، قم، ١٣٨١ هـ، والفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة: للشيخ الإمام علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ (م ٨٥٥ هـ)، ص ٢٦٦ ـ ص ٢٧٠، ط ٢، ١٩٥٠ م، النجف الأشرف، والإرشاد للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ)، ص ٣١٩ ـ ٣٢٣. وبحار الأنوار، ج ١٠، باب ٢٢، ص ٣٨١، وتحف العقول: ابن شعبة الحراني، ٣٣١ ـ ٣٣٤، وغيرها.

٣ـ تخطي القوانين الطبيعية

ورغم أنّ الإمام الجواد (عليه السّلام) كان معجزة بذاته: حيث تخطى القواعد المألوفة، وتصدى لإمامة المسلمين وهو صبي لم يبلغ السابعة من عمره[١]، فحطم كبرياء الإنحراف وفضح عملية التصدي لإمامة الناس دون سلوك طريقها الطبيعي المشروع ودون وجه حق!

وكان ما أظهره من المعارف الإلهية، وتحديه لكبار الفقهاء الرسميين بما فيهم قاضي قضاة الدولة العباسية مع ملاحظة ـ سنه ـ ونحو ذلك كانت إحدى مصاديق هذه الصفة الاعجازية التي تجسد حقيقة ارتباطه بالله الكبير المتعال، وحجم الدعم الغيبي الذي يحظى به هذا الإمام العظيم صلوات الله عليه من عند الله جلّ وعلا.

---

(١) يشبه الإمام (ع) في هذه الحالة ولده الإمام الهادي (ع) حيث تسلم مسؤولية إمامة المسلمين وعمره ثماني سنوات، والإمام القائم المنتظر (عج) تسلم إمامة المسلمين في أول صباه، إضافة إلى ذلك إنّ الإمام الجواد (ع) قد رافقت بعض المعاجز ولادته كالتكلم في المهد، وسطوع نور أضاء ما حوله أثناء الولادة المباركة وهو أمر لا ينكره العقلاء بالنسبة لمن يُصطفى إماماً للناس وهو صبي «راجع حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣٨٩، نقلاً عن حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)».

أقول، رغم هذه الحقائق الثابتة في تاريخ المسلمين، فإن الإمام (ع) قد أجرى الله على يديه معجزات أخرى في مناسبات عديدة من أجل أن يقطع بها السنة المعاندين أو يطمئن قلوب الموالين. وهذه بعض مصاديقها:

١ ـ بعد أن عزم الإمام (ع) على الرحيل من بغداد بعد زواجه بابنة المأمون ميمِّماً وجهه شطر المدينة المنورة، شيعه الناس، حتى إذا وصل دار المسيب عند غروب الشمس نزل ودخل مسجد المسيب للصلاة، وكان في صحنه شجرة نبق لم تثمر، فدعا (عليه السّلام) بكوزماء، فتوضأ في أصل الشجرة، ثمّ قام، وصلّى بالناس صلاة المغرب، ثمّ جلس يذكر الله جلّ وعلا، ثمّ صلّى النوافل أربع ركعات، وعقب تعقيبها وسجد سجدتي الشكر، ثمّ خرج، من المسجد فلما انتهى إلى شجرة النبق رآها الناس قد أثمرت ثمراً طيباً، فدهشوا لما رأوا، وأكلوا من الثمر، فوجدوا نبقاً حلواً ليس له نوى.(١)

٢ ـ أخرج الشيخ المفيد بسنده عن علي بن خالد قال: كنت بالعسكر ـ يعني سامراء ـ ، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتي به من ناحية الشام مكبلاً، وقالوا إنّه يدّعي النبوة، قال: فأتيت وكسبت رضا البوابين، حتى وصلت إليه، فإذا رجل له فهم، وعقل، فقلت له يا هذا ما قصتك؟ فقال: إنّي كنت بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين (ع)، فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب، أذكر الله

(١) الإرشاد: للشيخ المفيد، ص ٣٢٣، والكافي ج ١، ص ٤٩٧ (باختلاف في التفاصيل).

عزّوجلّ إذ رأيت شخصاً بين يدي فنظرت إليه، فقال لي: قم، فقمت معه، فمشى بي قليلاً، فإذا أنا بمسجد الكوفة فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة، قال: فصلّى وصليت معه، ثمّ انصرف، وانصرفت معه، فمشى بي قليلاً، وإذا نحن بمسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فسلّم على رسول الله (ص) وصلّى وصليت معه، ثمّ خرج، وخرجت، فمشى قليلاً، فإذا أنا بمكة، فطاف بالبيت، وطفت معه، ثمّ خرج، فمشى قليلاً، فإذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشام، وغاب الشخص عن عيني، فبقيت متعجباً مما رأيت.

فلما كان العام التالي رأيت ذلك الشخص، فاستبشرت به ودعاني فأجبته، ففعل كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي بالشام قلت له: أسألك بالحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلّا أخبرتني من أنت؟ فقال:

أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر (ع).

فحدثت من التقي به من الناس بذلك، فبلغ الخبر إلى الوالي محمد بن عبدالملك الزيات، فألقى عليَّ القبض وكبلني بالحديد، وأمر بحملي من الشام إلى العراق، وحبست وأشيع بين الناس: إنّه ادَّعي النبوة!!

يقول علي بن خالد: فقلت للرجل سأرفع ظلامتك إلى الزيات، فأذن لي، فكتبت قصته ورفعتها، فكتب الزيات في ظهر الكتاب: قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة، وردك من مكة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا!!

يقول ابن خالد: فغمني أمر الرجل، وانصرفت إليه محزوناً فلما كان من الغد عدت له مبكراً لأطلعه على نتيجة طلبه من الزيات وآمره بالصبر والتحمل، فوجدت الجند وأصحاب الحرس، ومسؤول السجن، وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون، فسألت عن حالهم، فقيل: إنّ السجين «المتنبئ» قد افتقد من سجنه فلا يعلم أخسفت به الأرض أو عرج إلى السماء.(١)

٣ ـ أخرج ابن شهرآشوب المازندراني عن أبي سلمة قال: دخلت على أبي جعفر (ع)، وكان بي صمم شديد، فأخبر الإمام (ع) بذلك، فدعاني إليه، ومسح على أذني ورأسي، ثمّ قال: **اسمع وعِ، فوالله إنّي لأسمع الشيء الخفي منذ دَعْوَته.**(٢)

٤ ـ عن محمد بن عمير بن واقد الرازي قال: دخلت على أبي جعفر ابن الرضا، ومعي أخي، وبه بهر شديد، فشكا إليه ذلك البهر فقال (الامام): **عافاك الله مما تشكو، فخرجنا من عنده، وقد عوفي، فما عاد إليه ذلك البهر إلى أن مات.**(٣)

---

(١) الإرشاد: ص ٣٢٤، «تصرفنا بالناحية اللفظية بما يناسب»، وكشف الغمة، ج ٢، ص ٣٥٩ ـ ص ٣٦٠، والفصول المهمة، ص ٣١٤.

(٢) صحيفة الأبرار: الميرزا محمد تقي التبريزي المقاني، ج ٢، ط ٢، كويت، ص ٢٦٤، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب: لابن شهرآشوب.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ٣٦٧، والاختصاص للشيخ المفيد، ص ٣٢٠. والبهر: تتابع النفس وانقطاعه.

٥ ـ قال محمد بن الفرج: كتب إليَّ أبو جعفر احملوا إليَّ الخمس، فأني لست آخذه منكم سوى عامي هذا فوافاه أجله (ع) في تلك السنة.[١]

٦ ـ روي عن الحسن بن عليّ الوشّاء قال: كنت بالمدينة بالصّريا في المشربة مع أبي عبدالله (ع) فقام وقال: لا تبرح فقلت في نفسي: كنت أردت أن أسأل أبا الحسن الرضا (ع) قميصاً من ثيابه فلم أفعل فإذا عاد إليَّ أبو جعفر (ع) فأسأله فأرسل إليَّ من قبل أن أسأله ومن قبل أن يعود إليَّ وأنا في المشربة بقميص وقال الرّسول: يقول لك: هذا من ثياب أبي الحسن الّتي كان يصلّي فيها.[٢]

٧ ـ ابن قولويه، عن الكليني، عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن الحجّال وعمر بن عثمان، عن رجل من أهل المدينة، عن المطرفي قال: مضى أبوالحسن عليّ بن موسى الرضا (ع) ولي عليه أربعة آلاف درهم، لم يكن يعرفها غيري وغيره، فأرسل إليَّ أبو جعفر (ع) إذا كان غداً فائتني فأتيته من الغد فقال لي: مضى أبوالحسن ولك عليه أربعة آلاف درهم، فقلت: نعم، فرفع المصلّى الّذي كان تحته، فإذا تحته دنانير فدفعها إليَّ، وكان قيمتها في الوقت أربعة آلاف درهم.[٣]

٨ ـ روى محمد بن أحمد بن يحيى في كتاب نوادر الحكمة عن

---

(١) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) البحار، ج ٥٠، ص ٥٢، حديث ٢٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٥٤، حديث ٢٩.

موسى بن جعفر، عن أُميّة بن علي قال: كنت بالمدينة وكنت أختلف إلى أبي جعفر (ع) وأبوالحسن بخراسان وكان أهل بيته وعمومة أبيه يـأتونه ويسلّمون عليه فدعا يوماً الجارية فقال: قولي لهم: يتهيّأون للمأتم، فلمّا تفرّقوا قالوا: ألا سألناه مأتم من؟ فلما كان من الغد فعل مثل ذلك، فقالوا مأتم من؟ قال: مأتم خير من على ظهرها فأتانا خبر أبي الحسن (ع) بعد ذلك بأيّام فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.[١]

هذه بعض المعاجز، والمغيبات التي جرت على يد الإمام الجواد (ع) في مناسبة وأخرى تأكيداً للحجة على العباد وطمأنة لقلوب المـؤمنين الصادقين. الأمر الذي يجسد ارتباطه المباشر بالله جلّ جـلاله، وتـمتعه بطاقات ليست عادية.

هذا ومن الجدير ذكره إنّ هذا النمط من الحوادث التي تعكس ارتباط الأئمة من آل الرسول (ص) بالملأ الأعلى، قد رويت بطرق معتبرة لدى المحدثين، حتى إنّ بعضها يصل في وثاقته العلمية إلى مسـتوى حـجية نصوص الأحكام الشرعية التي فرضها الله عزّوجلّ على عباده، كما يقطع بذلك المحدث الشهير محمد بن الحسن الحرّالعاملي (رض) في مـقدمة كتابه القيّم «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» الذي أودع فيه عشرين ألف حديث، وردت عن ثقاة الشيعة، والسنّة والجماعة...

ولذا فليس العجب من وقوع هذه الأحداث والوقائع في عالم الشهادة

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٦٣، حديث ٣٩.

وإنما العجب ممن يتوقف عن قبولها، بعد أن تروى، وهي تـتصف بـهذه الوثاقة العلمية في نقلها، وبالقرائن التي تحف بها!

وصي أبيه!

رغم الوصايا والتوجهات النبوية الشريفة الواردة بـخصوص إرشـاد الأمة إلى الأئمة الهداة بعد النبي (صلّى الله عـليه وآله) بـالتلميح مـرة، وبالتصريح أخرى ـ مما أشرنا إلى بعضها فيما سبق من حديث ـ فإن كل إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) يتولى ضمن مسؤوليته الرسالية العامة مهمة إرشاد الأمة إلى الإمام الذي يليه، بالوسائل التي تتاح له عادة حسب الظروف الموضوعية التي تحيط بالإمام، ولذا نجد إنّ بعض الأئمة الهداة (ع) يقتصر على إبلاغ بضعة أفراد من خلصائه بخليفته، بينما نجد بعضاً من الأئمة (ع) تكون رقعة المبلَّغين من قبلهم بـأوصيائهم واسـعة بشكل مناسب، فالإمام جعفر بن محمد الصـادق (ع) ـ مـثلاً ـ بـحكم الظروف القاسية التي عاشها في آخر عمره الشريف يضطر إلى استعمال اسلوب التمويه على جهاز «وشّائي» السلطة العباسية، فحين يُسأل عن وصيه من بعده يذكر ستة هم: أبو جعفر المنصور وواليه عـلى المـدينة محمد بن سليمان وعبدالله وموسى وحميدة أولاده ومولى له (ع)، حتى

إنّه حين بلغ ذلك الأمر إلى المنصور العباسي قال: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل.(١)

بينما نرى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يوصي ولده الحسن (ع) في جمع من المسلمين.

ومهما كان الأمر فإن الإمام السابق يشعر بالضرورة الشرعية لإرشاد الأمة إلى الإمام اللّاحق كجزء من مهمته الرسالية التي ينهض بأعبائها.

وبناء على هذه الحقيقة فإن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السّلام) قد نهض بمسؤوليته الشرعية إزاء الأمة بخصوص تسمية الإمام الذي يليه، لترجع إليه الأمة المؤمنة في الفكر والتشريع والمواقف العملية تجاه الأحداث والأشياء، وهذه جملة من النصوص الواردة عن الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) بشأن الإرشاد لوصيه الجواد (ع):

ـ أخرج الكليني الرازي بسنده عن الحسين بن بشار قال: كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا (ع) كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً، وليس لك ولد؟ فأجابه أبوالحسن الرضا (ع) ـ شبه المغضب ـ: «**وما أعلمك أنّه لا يكون لي ولد، والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق بين الحق والباطل**».(٢)

وعنه (رض) بسنده عن ابن أبي نصر قال: قال لي ابن النجاشي: من

(١) الكافي، ج ١، ص ٣١٠.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٢٠، والإرشاد، ص ٣١٨، والحسين بن قياما رجل من الواقفة: وهم فرقة من الشيعة توقفت عند الإمام موسى الكاظم (ع) ولم تقل بأمامة الرضا (ع) وبمن يليه من الأئمة (ع).

الإمام بعد صاحبك؟ فاشتهى أن تسأله حتى أعلم، فدخلت على الرضا (ع) فأخبرته، قال: **فقال لي الإمام: ابني، ثمّ قال لي: هل يتجرأ أحد أن يقول: ابني وليس له ولد؟**[(١)]

ـ وعن محمد بن يعقوب بسنده عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا (ع) قد كنّا نسألك أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (عليه السّلام)، وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟ فقال: **وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى عليه السّلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين.**[(٢)]

ـ وأخرج الشيخ المفيد بسنده عن معمر بن خالد قال: سمعت الرضا (عليه السّلام) ـ وذكر شيئاً ـ فقال: **ما حاجتكم إلى ذلك: هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني، وقال: إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة.**[(٣)]

---

(١) نفس المصدر السابق والصفحة.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٢١.

(٣) الإرشاد، ص ٣١٨، والكافي ج ١، ص ٣٢١، مع اختلاف في الألفاظ. القذة: ريش السهم يقال القذة بالقذة إذا تساويا في المقدار.

الفصل الثاني

ملتقى الفضائل

تمهيد

مهما يطنب الباحث في حياة أهل البيت (ع) في استعراض فضائلهم ومكارم أخلاقهم الظاهرة كالجود والشجاعة والصبر وما إلى ذلك فإن اهتمامه يبقى متعلقاً بالجانب الظاهري لحقيقة الإمام (عليه السّلام)، وإن كانت الفضائل الظاهرة تعبر بدرجة ما عن حقيقة الجوهر السامي الذي يتمتع به الأئمة (عليهم الصّلاة والسّلام).

فالأئمة الهداة (عليهم السّلام): «محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلّى الله عليه وآله»[(١)] وهم «الأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله، ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون»[(٢)].

وإذا كان الناس العاديون غير قادرين على إدراك كنه الأئمة الهداة (ع) وحدود علاقتهم بالله عزّوجلّ، وموقعهم في مسيرة هذا الوجود، ومسيرة

---

(١) و (٢) من الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن عاشر أئمة أهل البيت علي بن محمد الهادي (ع) رواها عنه الصدوق (رض) في عيون أخبار الرضا (ع) بسنده، كما رواها الشيخ عباس القمي (رض) في مفاتيح الجنان بأسانيده. ورواها السيد عبدالله شبّر في الأنوار اللّامعة في شرح الزيارة الجامعة، وغيرهم.

هذا الإنسان المتجهة نحو الله عزّوجلّ، فإن إبراز فضائلهم النفسية التي تعاملوا من خلالها تساهم إلى حد كبير في تصور القمة السامقة التي بلغها اولئك الأبرار في الفضل والطهارة والقداسة والنقاء.

ورغم الظلم التاريخي الذي تعرض له سائر الأئمة الهداة (عليهم السّلام) مما ساهم في إخفاء التصورات التفصيلية عن سيرتهم العطرة، فإن النزر اليسير مما وصَلَنا عن حياتهم يعطي تصوراً مباركاً عن سيرة «مفاتيح الخير» في هذا الوجود.

وبخصوص الإمام أبي جعفر الثاني تاسع أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) فإن ما حفظ تاريخ سيرته المباركة عنه لا يمثل شيئاً ذا بال من الناحية «الكمية» وإن كانت قيمته المعنوية تشكل أحد الأسس في فهم جانب مهم من سيرته العطرة.

ونسجل هنا صوراً من خصائص الإمام الجواد (ع) ومزاياه التي أشرق بها وجه التاريخ البشري.

صورة من الورع

أخرج المحدث محمد بن يعقوب الكليني (ره) بسنده عن محمد بن الديان، قال: احتال المأمون على أبي جعفر (عليه السّلام)، بكل حيلة، فلم يمكنه من شيء، فلما اعتل، وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إلى مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر، يستقبلن أبا جعفر (عليه السّلام) إذا قعد في موضع الأخيار، فلم يلتفت إليهن، وكان رجل يقال له: مخارق صاحب صوت وعود، وضرب، طويل

اللحية، فدعاه المأمون فقال: يا أميرالمؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا، فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر (ع)، فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده، ويغنّي، فلما فعل ساعة، وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثمّ رفع إليه رأسه وقال: «اتّقِ الله ياذا العثنون، قال: فسقط المضراب من يده، والعود، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات قال: فسأله المأمون عن حاله، قال: لما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً.(١)

إنّ هذه القصة وإن كانت تعبّر عن مستوى الورع الرفيع الذي يتمتع به الإمام أبو جعفر (ع) إلّا أنّ لها بعداً سياسياً إذ تعبّر عن إحدى صور التآمر على الإمام (ع) من قبل الطاغوت ظناً من الظالمين إنّ بمقدورهم أن يهزوا شخصيته ويؤثروا عليه بوسائل الاغراء المادي المختلفة، أو يقللوا من شأنه أمام الناس!!

جود وإحسان

أتاه رجل فقال له: أعطني على قدر مروءتك، فقال (ع): لا يسعني فقال الرجل: على قدري.

قال (ع): أماذا فنعم، يا غلام اعطِه مائة دينار.(٢)

---

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥، وحلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٠٩. العثنون اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين أو طولها (هامش الكافي).

(٢) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٦٨.

ومن جهة أخرى، ذكر الشيخ محمد بن يعقوب بسنده عن علي بن إبراهيم عن أبيه قال: كنت عند أبي جعفر الثاني (ع)، إذ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل، وكان يتولى له الوقف بقم، فقال له: يا سيدي اجعلني من عشرة آلاف درهم في حلٍ، فإني أنفقتها، فقال له أبو جعفر (ع): **أنت في حل**.(١)

وذكر داود بن القاسم الجعفري: أعطاني أبو جعفر (عليه السّلام) ثلاثمائة دينار، وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمه.(٢)

من أذكار الإمام وأدعيته

وهنا نورد بعضاً من أذكار الإمام، وأدعيته الخاشعة التي يناجي بها ربّه الأعلى كأحد مظاهر التسبيح والتمجيد في محراب عبادته لله عزّوجلّ:

١ ـ فمن مناجاته الخاشعة لله عزّوجلّ: «**يا ذا الّذي كان قبل كل شيء، ثمّ خلق كل شيء، ثمّ يبقى، ويفنى كل شيء يا ذا الّذي ليس كمثله شيء.**

يا ذا الّذي ليس في السمٰوات العلى، ولا في الأرضين السفلى، ولا فوقهن، ولا تحتهن، ولا بينهن إله يعبد غيره، لك الحمد حمداً لا يقوى على احصائه إلّا أنت، فصلّ على محمّد وآل محمّد صلاة لا يقوى على احصائها إلّا أنت».(٣)

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٠٧.

(٢) الإرشاد، ص ٣٢٦.

(٣) مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، ص ٢١٥، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢ ـ ومن دعاء له في شهر رمضان المبارك: «اللّهم يا من يملك التدبير، وهو على كلّ شيء قدير، يا من يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، وتُجِن الضمير وهو اللّطيف الخبير. اللّهمّ اجعلنا ممّن نوى، فعمل، ولا تجعلنا ممّن شقي، فكسل، ولا ممّن هو على غير عمل يتَّكِل.

اللّهمّ صحِّحْ أبدانَنا من العِلَل، وأعِنّا على ما افترضتَ علينا من العمل حتّى ينقضيَ عنّا شهرُك هذا، وقد أدَّينا مفروضَكَ فيه علينا. اللّهمّ أعِنّا على صيامِه، ووفِّقْنا لقيامِهِ، ونشِّطنا فيه للصّلاةِ، ولا تحجُبنا من القراءة، وسهِّل لنا فيه إيتاءَ الزّكاةِ.

اللّهمّ ارزقنا الإفطار من رزقك الحلال.

اللّهمّ سهِّل ما قسَمْتَ من رزقِك، ويسِّرْ ما قدَّرتَه من أمرك، واجعله حلالاً طيّباً نقيّاً من الآثام، خالصاً من الآصار والإجرام.

اللّهمّ لا تطعمنا إلّا طيِّباً غيرَ خبيث، ولا حرامٍ، واجعل رزقَك لنا حلالاً لا يشوبه دنسٌ، ولا أسقامٌ يا من عِلْمُهُ بالسرِّ، كعلمِهِ بالأعلان، يا متفضلاً على عباده بالإحسانِ، يا من هو على كلّ شيء قدير، وبكلّ شيء عليم خبير، الهِمْنا ذكرَك، وجنِّبنا عُسرَك، وأنِلْنا يُسرَك، وأهدِنا للرشادِ، ووفّقنا للسدادِ، واعصِمْنا من البلايا، وصُنّا من الأوزارِ والخطايا يا منْ لا يغفرُ عظيمَ الذنوب غيرُه، ولا يكشفُ السوءَ إلّا هو يا أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، صلِّ على محمّد وأهل بيتِهِ الطيّبين، واجعلْ صيامنا مقبولاً، وبالبر، والتقوى موصولاً، وكذلك فاجعل سعيَنا مشكوراً، وقيامَنا مبروراً، وقرآنَنا مرفوعاً، ودعاءَنا مسموعاً، واهدِنا للحسنى، وجنِّبْنا العُسرى ويسّرْنا لليُسرى، وأعلِ لنا الدرجاتِ، وضاعفْ لنا الحسناتِ

واَقبَلْ منّا الصومَ والصّلاة، واَسمَعْ منّا الدعواتِ، واغفر لنا الخطيئاتِ وتجاوزْ عنّا السيئاتِ، واجعلنا من العاملين الفائزين، ولا تَجعلنا من المغضوبِ عليهم، ولا الضالين حتّى ينقضي شهرُ رمضان عنّا، وقد قبِلْتَ فيه صيامَنا، وقيامَنا، وزكَّيْتَ فيهِ أعمالَنا، وغفرتَ فيهِ ذنوبَنا، وأجزلتَ فيهِ من كلِّ خيرٍ نَصيبَنا، فإنّك الإلٰهُ المجيبُ والربُّ القريبُ، وأنتَ بكلّ شيءٍ محيط».(١)

٣ ـ ومن دعاء له (عليه السّلام) يقول فيه: «يا من لا شبيهَ له، ولا مثالَ أنتَ اللهُ الّذي لا إلٰهَ إلّا أنتَ ولا خالقَ إلّا أنتَ، تفني المخلوقين وتبقىٰ، أنتَ حَلُمتُ عَمّنْ عصاكَ وفي المغفرة رضاك».(٢)

الوسائل إلى المسائل

وهذه مجموعة من الأدعية الجليلة رواها الإمام الجواد (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) عن الله عزّوجلّ وقد رواها الشيخ المجلسي والسيد ابن طاووس (رضوان الله عليهما) باسنادهما وهي بمثابة صحيفة الجواد (ع) في الدعاء والمناجاة رغبنا أن نثبتها هنا عسى الله أن ينفع بها المؤمنين:

روى الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه قال: حدثني عبدالله بن رفاعة قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن الحارث النوفلي قال: حدثني أبي وكان

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٢١٧ ـ ص ٢١٨.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع)، للشيخ الصدوق، ج ١، ص ٦٢.

خادم عليّ بن موسى الرضا (ع) قال: لما زوج المأمون محمد بن علي بن موسى (ع) ابنته كتب إليه أن لكل زوجة صداقاً من مال زوجها، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة مؤجلة لنا فكنزناها هناك كما جعل أموالكم في الدنيا معجّلة لكم فكنزتموها هنا وقد أمهرت ابنتك «الوسائل إلى المسائل» وهي مناجاة دفعها إليَّ أبي، وقال. دفعها إليَّ موسى أبي وقال: دفعها إليَّ جعفر أبي، وقال: دفعها إليَّ محمد أبي وقال: دفعها إليَّ علي أبي، وقال: دفعها إليَّ الحسين بن علي أبي، وقال: دفعها إليَّ الحسن أخي، وقال: دفعها إليَّ علي بن أبي طالب (عليه السّلام) وقال: دفعها إليَّ النبي محمد (ص) في صحيفة وقال: دفعها إليَّ جبرئيل (ع) وقال: ربّك يقول هذه مفاتيح كنوز الدنيا والآخرة، فاجعلها وسائلك إلى مسائلك تصل إلى بغيتك وتنجح في طلبتك، ولا تؤثرها لحوائج دنياك فتبخس بها الحظ من آخرتك، وهي عشر وسائل إلى عشر مسائل، تطرق بها أبواب الرغبات فتفتح، وتطلب بها الحاجات فتنجح، وهذه نسختها:

المناجاة بالإستخارة

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهم إن خيرتك فيما استخيرك[1] فيه تنيل الرغائب وتجزل المواهب، وتغنم المطالب وتطيب المكاسب، وتهدي إلى أجمل المذاهب وتسوق إلى أحمد العواقب، وتقي مخوف النوائب،

---

(١) استخرتك (خ ل).

اللّهم إني أستخيرك فيما عـزم رأيي عليه، وقادني عقلي إليه، سـهّل الله منه[١] ما توعَّر، ويسّر منه ما تعسّر، واكفني فيه المهم، وادفع عنّي كلَّ مُلم، واجعل ربِّ عواقبه غُنماً وخوفه سلماً. وبُعده قرباً، وجُدْبَه خصباً، وأرسل[٢] اللّهم إجابتي وأنجح فـيه طـلبتي واقـض حـاجتي، واقـطع عوائقها، وامنع بوائقها، وأعطني اللّهم لواء الظفر بالخيرة فيما استخرتك، ووفور[٣] الغنم فيما دعوتك، وعوائد الإفضال فيما رجوتك وأقرِنه اللّهمّ ربّ بالنجاح، وحطه[٤] بالصلاح، وأرني أسباب الخـيرة فـيه واضـحة واعلام غنمها لائحة، واشدد خناق تعسّرها، وانعش صـريع تـيسّرها، وبيّن اللّهم ملتبسها، واطلق محتبسها ومكّن أُسّها فيه حتّى تكون خيرة مقبلة بالغنم مزيلة للغرم، عاجلة النفع، باقية الصنع، إنّك ولي المـزيد، مبتدئ بالجود».[٥]

المناجاة بالاستقالة

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهمّ إن الرجـاء لسـعة رحـمتك انـطقني باستقالتك والأمل لأناتك ورفقك شجعني على طلب أمـانك وعـفوك، ولي يا رب ذنوب قد واجهتها أوجه الانتقام، وخطايا قد لاحظتها أعين

(١) فيه (خ ل).

(٢) وأوشك (خ ل).

(٣) وفوز (خ ل).

(٤) وخصه (خ ل).

(٥) زاد بعده في بعض النسخ: قبل استحقاقه، وصلّ على محمد المحمود وآله الطاهرين.

الاصطلام، واستوجبت بـها عـلى عـدلك أليـم العـذاب، واسـتحققت باجتراحها مبير العقاب، وخفت تعويقها لأجابتي وردها إياي عن قضاء حاجتي، وابطالها لطلبتي، وقطعها لأسباب رغبتي من أجل ما قد أنقض ظهري من ثقلها، وبهظني من الاستقلال بحملها، ثمّ تراجـعت ربّ إلى حلمك عن العاصين وعفوك عن الخاطئين، ورحمتك للمذنبين[١] فأقبلت بثقتي متوكلاً عليك، طارحاً نفسي بين يديك، شاكياً بـثي إليك، سـائلاً ربِّ ما لا أستوجبه من تفريج الغم، ولا أسـتحقه مـن تـنفيس الهـم[٢] مستقيلاً ربّ لك، واثقاً مولاي بك.

اللّهم فامنن عليَّ بالفرج، وتطول عليَّ بسلامة المخرج[٣] وادللـني برأفتك على سمت المـنهج، وأزلنـي بـقدرتك عـن الطـريق الأعـوج وخلّصني من سجن الكرب[٤] باقالتك، وأطلق أسري برحمتك، وتطول عليَّ برضوانك، وجد عليَّ باحسانك، وأقلني ربّ عثرتي، وفرج كربتي، وارحم عبرتي، ولا تحجب دعوتي، واشدد بـالاقالة أزري، وقـوِّ بـها ظهري، وأصلح بها أمري، وأطل بها عمري وارحـمني يـوم حشـري، ووقت نشري، إنّك جـواد كريم، غـفور رحـيـم (وصـلّ عـلى مـحمد وآله)».

---

(١) عن الخاطئين وعفوك عن المذنبين ورحمتك للعاصين (خ ل).

(٢) من تفريج الهم ولا أستحقه من تنفيس الغم (خ ل).

(٣) بسهولة المخرج (خ ل).

(٤) في بعض نسخ المناجات: وخلصني اللّهم من أشجن الكرب.

المناجاة بالسفر

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهمّ إنّي أريد سفراً فخر لي فيه، وأوضح لي فيه سبيل الرأي وفهّمنيه، وافتح عزمي باستقامة، واشملني في سفري بالسلامة وأفد لي به جزيل الحظّ والكرامة واكلأني فيه بحريز[١] الحفظ والحراسة وجنّبني اللّهمّ وعثاء الأسفار وسهّل لي حزونة الأوعار، وأطوِ لي البعيد لطول انبساط المراحل وقرّب منّي بُعد نأي المناهل، وباعد في المسير بين خُطى الرّواحل حتّى تُقرِّب نياط البعيد وتُسهّل وعورة الشديد.

ولقّني اللّهمّ في سفري نُجحَ طائر الواقية، وهنّئني غُنم العافية، وخفير الاستقلال، ودليل مجاوزة الأهوال، وباعث وفود الكفاية، وسائح خفير الولاية واجعله اللّهمّ ربِّ عظيم السّلم، حاصل الغنم، واجعل اللّهمّ ربِّ اللّيلَ ستراً لي من الآفات، والنّهار مانعاً من الهلكات، واقطع عنّي قطع لصوصه بقدرتك واحرسني من وحوشه بقوّتك، حتّى تكون السَّلامة فيه صاحبتي، والعافية مقارنتي واليمن سائقي، واليسر معانقي، والعسر مفارقي، والنجح بين مَفارقي، والقدر موافقي والأمر مرافقي إنّك ذو المنّ والطّول والقوّة والحول، وأنت على كلّ شيءٍ قدير».

المناجاة بطلب الرزق

«اللّهمّ ارسل عليَّ سجال رزقك مدراراً وأمطر سحائب إفضالك عليَّ

---

(١) بحسن (خ ل).

غراراً وارمِ غيث نيلك إليَّ سجالاً، وأسبل مزيد نعمك على خلّتي إسبالاً، وافقرني بجودك إليك، وأغنني عمّن يطلب ما لديك، وداوِ داء فقري بدواء فضلك، وانعش صرعة عيلتي بطولك، واجبر كسر خلّتي بنولك، وتصدَّق على إقلالي بكثرة عطائك وعلى اختلالي بكرم[1] حبائك، وسهل ربِّ سبيل الرزق إليَّ، واثبت قواعده لديَّ، وبجِّس لي عيون سعة رحمتك، وفجّر أنهار رغد العيش قَبَلي برأفتك ورحمتك، وأجدب أرض فقري وأخصب جدب ضرّي، واصرف عني في الرزق العوائق، واقطع عنّي من الضيق العلائق، وارمني اللّهمّ من سعة الرزق بأخصب سهامه، واحبُني من رغد العيش بأكثر دوامه.

واكسني اللّهمّ أي ربِّ سرابيل السعة، وجلابيب الدعة، فإنّي ربِّ منتظرٌ لأنعامك بحذف الضيق، ولتطولك بقطع التعويق، ولتفضّلك ببتر التقصير، ولوصل حبلي بكرمك بالتيسير، وأمطر اللّهمّ عليَّ سماء رزقك بسجال الدِّيم، وأغنني عن خلقك بعوائد النعم، وارم مقاتل الإقتار منّي، واحمل عسف الضرِّ عنّي، واضرب الضرّ بسيف الاستيصال، وامحقه ربِّ منك بسعة الأفضال، وامددني بنمو الأموال واحرسني من ضيق الإقلال، واقبض عنّي سوء الجدب، وابسط لي بساط الخصب وصحّبني بالاستظهار، ومسّني بالتمكين[2] من اليسار، إنّك ذو الطول العظيم والفضل العميم، وأنت الجواد الكريم، الملك الغفور الرّحيم، اللّهمّ اسقني

---

(١) بكريم (خ ل).

(٢) بالتمكن (خ ل).

من ماء رزقك غدقاً، وانهج لي من عـميم بَـذْلِكَ طـرقاً، وافـجأني[١] بالثروة والمال، وانعشني فيه بالاستقلال».

المناجاة بالاستعاذة

«بسم الله الرّحمن الرّحيم اللّهمّ إنّي أعوذ بك من ملمّات نوازل البلاء، وأهوال عظائم الضراء، فأعذني ربّ من صرعة البأساء، واحجبني مـن سطوات البلاء، ونجّني من مفاجأة النقم، واحرسني من زوال النعم، ومن زلل القدم واجعلني اللّهمّ ربّ في حمى عزّك وحياطة حرزك من مباغتة الدوائر، ومعاجلة البوادر، اللّهمّ ربّ وأرضُ البلاء فاخسفها، وعـرصة المحن فارجفها، وشمس النّوائب فاكسفها، وجـبال السـوء فـانسفها، وكُرَبَ الدهر فاكشفها، وعوائق الأمور فـاصرفها، وأوردنـي حـياض السلامة، واحملني على مطايا الكـرامـة، واصـحِبني بـاقالة العـثرة، واشملني بستر العورة، وجد عليَّ ربّ بآلائك، وكشـف بـلائك ودفـع ضرّائك، وادفع عنّي كلاكل عذابك، واصرف عنّي أليم عقابك، وأعذني من بوائق الدهور، وأنقذني من سوء عواقب الأمور، واحرسني من جميع المحذور واصدع صفاة البلاء عن أمري، واشلل يده عنّي مدة عمري، إنّك الرّب المجيد المبدئ المعيد، الفعّال لما تريد».

---

(١) فاجئتني (خ ل).

المناجاة بطلب التوبة

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهمّ ربِّ إنّي قصدتُ إليك باخلاص توبة نصوح وتثبيت عقدٍ صحيح، ودعاء قلبٍ جريح، وإعلان قول صريحٍ، اللّهمّ ربّ فتقبّل منّي إنابة مخلص التّوبة، وإقبالَ سريع الأوبة، ومصارعَ تجشّع الحوبة، وقابل ربّ توبتي بجزيل الثواب، وكريم المآب، وحطّ العقاب، وصرف العذاب، وغنم الإياب، وستر الحجاب، وامحُ اللّهمّ ربّ بالتوبة ما ثبت من ذُنوبي، واغسل بقبولها جميع عيوبي، واجعلها جالية لرين قلبي، شاحذةً لبصيرة لُبّي، غاسلةً لدرني، مُطهّرةً لنجاسة بدني، مصحّحة فيها ضميري، عاجلةً إلى الوفاء بها مصيري، واقبل ربِّ توبتي، فإنّها بصدقٍ من إخلاص نيّتي، ومحض من تصحيح بصيرتي، واحتفال في طويّتي، واجتهاد في لقاء سريرتي، وتثبيت إنابتي، ومسارعة إلى أمرك بطاعتي.

وأجلُ اللّهمّ ربّ عنّي بالتّوبة ظلمة الاصرار، وامحُ بها ما قدَّمته من الأوزار، واكسُني بها لباس التقوى، وجلابيب الهدى، فقد خلعتُ ربق المعاصي عن جلدي، ونزعتُ سربال الذنوب عن جسدي، متمسّكاً ربّ بقدرتك، مستعيناً على نفسي بعزّتك، مستودعاً توبتي من النكث بخُفرتك، معتصماً من الخذلان بعصمتك، مقرّاً بلا حول ولا قوّة إلّا بك».

المناجاة بطلب الحج

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهمّ ارزُقني الحجّ الّذي فرضته على من

استطاع إليه سبيلاً واجعل لي فيه هادياً وإليه دليلاً وقرِّب لي بُعد المسالك، وأعنّي فيه على تأدية المناسك، وحرِّم باحرامي على النّار جسدي، وزد للسّفر في زادي وقوّتي وجلدي، وارزقني ربِّ الوقوف بين يديك، والافاضة إليك، وظفّرني بالنّجح واحبُني بوافر الربح، وأصدرني ربِّ من موقف الحجِّ الأكبر إلى مزدلفة المشعر، واجعلها زُلفة إلى رحمتك، وطريقاً إلىٰ جنّتك، أوقفني موقف المشعر الحرام، ومقام وفود الاحرام، وأهّلني لتأدية المناسك، ونحر الهدي التوامك[١] بدمٍ يثجُّ، وأوداج تمجّ، وإراقة الدماء المسفوحة، من الهدايا المذبوحة، وفري أوداجها على ما أمرت، والتنفّل بها كما رسمت، وأحضرني اللّهمّ صلاة العيد راجياً للوعد حالقاً شعر رأسي ومُقصراً مجتهداً في طاعتك، مشمّراً رامياً للجمار بسبع بعد سبع من الأحجار، وأدخلني اللّهمّ عرصة بيتك وعقوتك وأولجني محلّ أمنك وكعبتك ومساكينك وسؤالك، ووفدك ومحاويجك، وجُد عليَّ اللّهمّ بوافر الأجر من الانكفاء والنفر، واختم لي مناسك حجّي وانقضاء عجّي بقبول منك لي ورأفة منك يا غفور يا رحيم يا أرحم الراحمين».

المناجاة بكشف الظلم

«بسم الله الرّحمن الرّحيم اللّهمّ إنّ ظلم عبادك قد تمكّن في بلادك

---

(١) التوامك جمع تامك: الناقة العظيمة السنام.

حتّى أمات العدل، وقطع السبُل، ومحق الحقَّ، وأبطل الصّدق، وأخفى البرّ، وأظهر الشرّ، وأهمل التقوى، وأزال الهُدى، وأزاح الخير، وأثبت الضّير، وأنمى الفساد، وقوّى[1] العباد وبسط الجور، وعدى الطّور، اللّهمّ يا ربّ لا يكشف ذلك إلّا سلطانك، ولا يجير منه إلّا امتنانك، اللّهمّ ربّ فابتُر الظلم، وبتَّ جبال الغشم، واخمل سوق المُنكر، وأعزَّ من عنه زجر، واحصد شأفة أهل الجور وألبسهم الحور بعد الكور، وعجّل لهم البتات، وأنزل عليهم المثلات، وأمت حياة المنكرات، ليأمن المخوف، ويسكن الملهوف، ويشبع الجائع، ويحفظ الضائع ويؤوى الطريد، ويَعودُ الشريد، ويُغنى الفقير، ويجار المستجير، ويوقّر الكبير ويرحم الصغير، ويعزّ المظلوم، ويذلّ الظلوم، وتفرج الغمّاء، وتسكن الدَّهماء ويموت الاختلاف، ويحيى الائتلاف، ويَعلو العلمُ، ويشمل السلم، وتجمل النيّات ويجمع الشَتات، ويقوى الإيمان، ويُتلى القرآن، إنّك أنت الديّان، المنعم المنّان».

المناجاة بالشكر لله تعالى

«بسم الله الرحمن الرحيم اللّهمّ لك الحمد على مردِّ نوازل البلاء، ومُلمّات الضرّاء، وكشف نوائب اللأواء، وتوالي سبُوغ النعماء، ولك الحمدُ ربِّ على هنيء عطائك، ومحمود بلائك وجليل آلائك، ولك

---

(١) قوىٰ العباد: بسط عليهم الفقر والحرمان.

الحمد على إحسانك الكثير وخيرك الغزير، وتكليفك اليسير، ودفعك العسير، ولك الحمد يا ربِّ على تثميرك قليل الشكر، واعطائك وافر الأجر، وحطِّك مُثقل الوزر، وقبولك ضيّق العذر، ووضعك باهظ الإصر[١]، وتسهيلك موضع الوعر، ومنعك مُفظع الأمر، ولك الحمدُ على البلاء المصروف ووافر المعروف، ودفع المخوف وإذلال العسوف، ول الحمد على قلّة التكليف، وكثرة التخفيف، وتقوية الضعيف، وإغاثة اللهيف، ولك الحمد على سعة إمهالك، ودوام إفضالك، وصرف محالك، وحميد فعالك وتوالي نوالك ولك الحمدُ على تأخير معاجلةِ العقاب، وترك مغافصة العذاب، وتسهيل طُرق المآب وإنزال غَيث السَّحاب، إنّك المنّان الوهّابُ».

المناجاة بطلب الحاجة

«بسم الله الرّحمن الرّحيم اللّهمّ جديرٌ من أمرته بالدعاء أن يَدعوك، ومن وعدتهُ بالاجابة أن يرجوك، ولي اللّهمّ حاجةٌ قد عجزت عنها حيلتي، وكلّت فيها طاقتي، وضعفتْ عن مرامها قدرتي، وسوَّلت لي نفسي الأمّارة بالسوء، وعدوّي الغَرور الّذي أنا منه مُبتلى أن أرغب فيها إلى ضعيف مثلي، ومن هو في النّكول شكلي، حتّى تداركتني رحمتك، وبادرتني بالتوفيق رأفتك، ورددتَ عليَّ عقلي بتطوّلك، وألهمتني رشدي بتفضّلك، وأحييت بالرجاء لك قلبي، وأزلت خدعة

---

(١) فادح الأصر (خ ل)، أي ثقيله.

عدوّي عن لبّي، وصحّحت بالتأميل فكري، وشرحت بالرجاء لاسعافك صدري وصوّرت لي الفوز ببلوغ ما رجوته، والوصول إلى ما أمَّلتُه، فوقفت اللّهمّ ربّ بين يديك سائلاً لك، ضارعاً إليك، واثقاً بك، متوكلاً عليك في قضاء حاجتي وتحقيق أمنيّتي، وتصديق رغبتي، فأنجح اللّهمّ حاجتي بأيمن نجاح، واهدها سبيل الفلاح، وأعذني اللّهمّ ربّ بكرمك من الخيبة والقنوط، والاناءة والتثبيط بهنيئ اجابتك وسابغ موهبتك إنّك مليّ وليّ، وعلى عبادك بالمنائح الجزيلة وفيّ، وأنت على كلّ شيء قدير، وبكلّ شيء محيط، وبعبادك خبيرٌ بصيرٌ».(١)

مصاديق أخرى للعبادة

ونذكر هنا بعض ما ذكرته كتب السيرة والسنة الشريفة عن صور أخرى من عبادة الإمام أبي جعفر الجواد (ع) لله عزّوجلّ، فقد روى الشيخ الكليني محمد بن يعقوب بسنده عن قاسم الصيقل قال: ما رأيت أحداً كان أشد تشديداً في الظل من أبي جعفر (ع) كان يأمر بقلع القبة

(١) بحار الأنوار، ٩٤، ص ١١٣ ـ ١٢٠، ومهج الدعوات، للسيد ابن طاووس (رض)، ص ٢٥٨ ـ ٢٦٥، ط ايران، والباقيات الصالحات، للشيخ عباس القمي بسنده الموجود في هامش مفاتيح الجنان، ص ٤٦٦ ـ ص ٤٦٧.

والحاجبين إذا أحرم.[١]

وعنه بسنده عن علي بن مهزيار قال: رأيت أبا جعفر الثاني (عليه السّلام) ليلة الزيارة طاف طواف النساء، وصلّى خلف المقام ثمّ دخل زمزم، فاستقى منها بيده، بالدلو الذي يلي الحجر، وشرب منه، وصب على بعض جسده، ثمّ اطلع في زمزم مرتين، وأخبرني بعض أصحابنا إنّه رآه بعد ذلك بسنة فعل مثل ذلك.[٢]

وأخرج الشيخ محمد بن يعقوب (رض) عن الحسين بن محمد الأشعري قال: حدثني شيخ من أصحابنا يقال له: عبدالله بن رزين قال: كنت مجاوراً بالمدينة ـ مدينة الرسول (ص) ـ، وكان أبو جعفر (عليه السّلام) يجيء في كلّ يوم مع الزوال إلى المسجد، فينزل في الصحن، ويصير إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ويسلّم عليه، ويرجع إلى بيت فاطمة (عليها السّلام)، فيخلع نعليه ويقوم، فيصلّي...»[٣] (الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة).

هذا وذكر الراوندي في دعواته تسبيحاً للإمام الجواد (ع) ما نصه: **«سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته، سبحان من لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب سبحانه الله وبحمده»**.[٤]

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٣٤، «الحاجبان ما يحجب عن الشمس أثناء الطواف».

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٩٣.

(٤) البحار، ج ٩٤، ص ٢٠٧.

الفصل الثالث

الواقع الذي عاشه الإمام الجواد عليه السلام

ـ قواه المؤثرة ومعطياته ـ

مقدمة

لا يمكن من الناحية التاريخية أن يفصل دور أي إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السّلام) عن دور من سبقه من الأئمة أو دور من يليه منهم، بالنظر لتكامل الأدوار والأعمال والمهمات التي ينهضون بها.

وإذا كان هناك من اختلاف بين الأدوار التي نهض بها الأئمة (عليهم السّلام) من أجل دفع حركة الإسلام التاريخية إلى أمام، فإن ذلك ناشئ عن الاختلاف في الظروف السياسية وأرضية الواقع التي تحركوا عليها إضافة إلى مقتضيات الحكمة والمصلحة الإسلامية العليا وضرروات المرحلة التي عاشوها، ولذا فإن لجوء الحسين السبط بن علي (عليه السّلام) إلى الثورة كان يمتلك المبررات الموضوعية الكافية على أرض الواقع، وإن مقتضيات الحكمة والمصلحة الإسلامية العليا تقتضي ذلك اللون من العمل، بينما كانت المبررات الموضوعية ومقتضيات الحكمة متوفرة لإبرام الصلح مع معاوية بن أبي سفيان من قبل الإمام الحسن السبط (عليه السّلام)، ولو قدر أن الحسين بن علي، وأخاه الحسن السبط (عليهما السّلام)، قد تبادلا المرحلة والأرضية العامة للواقع الذي عاشه كل منهما، لتبادلا الأدوار بالضرورة، وما ينطبق على السبطين (ع) ينطبق على سائر الأئمة الهداة (عليهم السّلام) من ناحية مضامين الأدوار التي نهضوا بها من أجل الإسلام ومسيرته التاريخية.

وبخصوص الإمام أبي جعفر الثاني محمد بن علي الجواد (عليه السّلام)، فإن خصوصيات العمل الرسالي الذي نهض بأعباء قيادته قد حددت معالمه أرضية الواقع التي تمكن من التحرك في إطارها إضافة إلى المصلحة الإسلامية العليا التي تحكم مسيرة عمله، ومخططاته البناءة ـ أسوة بغيره من الأئمة الهداة (ع) ـ.

وقبل الحديث عن خصوصيات المهمة التاريخية التي نهض الإمام الجواد (ع) بأعبائها، لابد لنا من تسليط الأضواء على طبيعة المرحلة التاريخية التي عاشها الإمام (ع)، والظروف التي أحاطت به..

الواقع الذي عاشه الإمام عليه السلام

قواه المؤثرة ومعطياته

عاش الإمام الجواد (عليه السّلام) تحت ظل ظروف سياسية واجتماعية ذات طبيعة خاصة يمكن ملاحظة معالمها الرئيسية من خلال المحاور التالية:

١ ـ موقف السلطة العباسيّة من الإمام (ع)

٢ ـ موقع أتباع أهل البيت (ع) في خريطة المجتمع في عصر الإمام (ع)

١ ـ السلطة والإمام (ع)

من الضروري أن نشير ابتداء إلى أن الحكم العباسي في عصر الإمام الجواد (ع) (فترة المأمون ـ المعتصم) قد شهد حالة من الاستقرار، بعد مرحلة عصيبة مرّ بها الحكم على أثر الانشقاق السياسي الخطير الذي شق الدولة إلى جناحين: جناح بغداد الذي يديره محمد الأمين بن الرشيد، ويدعمه القطاع الأوسع من الأسرة الحاكمة، وجناح «خراسان»

الذي يقف عبدالله المأمون بن الرشيد على رأسه، بدعم من الفرس (أخواله) وبعض قبائل العرب في خراسان وقد حسم الموقف لصالح المأمون بعد حرب ضروس بين الأخوين، حيث طويت أخطر مراحل الصراع داخل الأسرة العباسية الحاكمة.

ومرّ حكم المأمون بعد أن صفا له الجو السياسي بمرحلة استقرار مناسب، وإن كان جهاد العلويين، ومظاهر «الخروج» على الحكام غير الشرعيين لم تكن ترى الهدوء في عصره!!

وفي هذه المرحلة السياسية بالذات تصدى إمام الهدىٰ أبو جعفر محمد بن علي الجواد (ع) لمسؤولية إمامة المسلمين، وهو لايزال في مرحلة الصبا ـ كما أشرنا سابقاً ـ. وبالنظر لحقيقتين:

١ ـ قوة التيار الموالي لأئمة أهل البيت (ع) في المجتمع وفي الدولة في عصر الإمام (ع) كنتيجة لجهود تاريخية ضخمة بذلها أسلاف الإمام الجواد وأتباعهم من أمثال الإمام الصادق والكاظم والرضا (عليهم السّلام).

٢ ـ شيوع اصداء واسعة عن كون المأمون قد تسبب في مقتل الإمام علي بن موسى الرضا (ع) «والد الإمام الجواد (ع)»، وإن الرضا (ع) قد اغتيل بالسم بتدبير من المأمون[1]، الأمر الذي يشكل أبعاداً خطيرة على مسيرة الحكم العباسي يومئذٍ.

أقول: بالنظر لهاتين المسألتين عمل المأمون وسعه، للتظاهر بولائه

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع)، ج ٢، ص ٢٤٠ ـ ٢٥٠، ومقاتل الطالبيين، ص ٥٦٦ ـ ص ٥٦٧.

للإمام الجواد (ع)، وحدبه عليه وشغفه بحبّه، لكي يوهم الموالين لأهل البيت (ع) ببراءته من دم الإمام الرضا (ع) ويقطع السنة الإشاعات في البلاد، ويأمن التحرك المضاد الذي قد يبديه الشطر الكبير من الأمة الموالى لأهل البيت (ع)، لكي يحقق الاستقرار لحكمه!

قصة مفتعلة

ويذكر المؤرخون قصة غريبة لبداية مرحلة العلاقة «الحسنة» المزعومة بين المأمون والجواد (ع) ويعتبرها بعضهم عاملاً مهماً لتلك العلاقة التي غلفها المأمون بحسن النيّة، هذه تفاصيلها:

«لما توفي والده علي الرضا وقدم الخليفة المأمون إلى بغداد بعد وفاته بسنة، اتفق أنّه خرج يوماً إلى الصيد، فاجتاز بطرف البلد في طريقه، والصبيان يلعبون، ومحمد (الجواد) واقف معهم، وكان عمره يومئذٍ إحدى عشرة سنة، فما حولها، فلما أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين، ووقف أبو جعفر (ع)، فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة، فنظر إليه، وكان الله عزّ وعلا قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة، وقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمد مسرعاً: يا أميرالمؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم تكن لي جريمة، فأخشاها، وظني بك حسن أنّك لا تضر من لا ذنب له، فوقفت، فأعجبه كلامه ووجهه، فقال له: ما اسمك؟ قال: محمد، قال: ابن من أنت؟ قال: يا أميرالمؤمنين: أنا ابن علي الرضا، فترحم على أبيه، وساق إلى

وجهته..»[(١)]، وتمضي القصة في بعض المصادر لتذكر أنّ المأمون عاد من صيده، ووجد الجواد (ع) واقفاً وجرى بينهما حوار آخر إنتهى بأعجاب المأمون، حيث أركبه معه وزوجه أم الفضل ابنته.[(٢)]

ونستطيع أن نسجل الملاحظات الآتية حول هذه القصة لنتبين مواضع الخلل فيها:

١ ـ إنّ القصة تذكر أن الإمام الجواد (ع) قد التقى لقاءه المزعوم بالمأمون في بغداد، وتوحي أنّ الإمام (ع) كان مقيماً فيها، مع أن الوقائع التاريخية تؤكد أنّ الإمام (ع) كان مقيماً في المدينة المنورة، ولم يغادرها إلى بغداد إلّا بعد استدعاء المأمون له، بل إنّ كتب التاريخ تشير إنّ الإمام الجواد (ع) لم يصحب أباه حتى في رحلته إلى خراسان، التي ختمت باستشهاده (ع).

٢ ـ توحي القصة إنّ الإمام الجواد (ع) قد شهد للمأمون بالعدالة وحسن السلوك وإذا نسب إليه الأضرار بأحد فإنه ناتج عن إساءة وذنب يرتكبه المتعرض لعقوبته!! وبناء على مبنى القصة فإن كلّ الذين تسبب المأمون في إيذائهم كانوا مستحقين!!

وهكذا يكون الإمام الجواد (ع) ـ بناء على ما زعمته القصّة ـ قد منح المأمون شهادة بحسن السلوك وبرأ ساحته من جريمة قتل الإمام الرضا

---

(١) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٤٤، والفصول المهمة في معرفة الأئمة، ص ٢٦٦، وحلية الأبرار، ج ٢، ص ٤١٠، نقلاً عن ابن شهرآشوب المازندراني في فضائله.

(٢) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤١٠.

(ع) ضمناً، كما يتضح من كلامه المزعوم «لم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن انّك لا تضر من لا ذنب له».

٣ ـ إنّ القصة حين تفترض أن سبب العلاقة المزعومة بين المأمون والإمام (ع) قد تمخضت عن هذا اللقاء المذكور، تحاول أن تستبعد التخطيط السياسي، وراء عملية تلك العلاقة وما تلاها من أحداث بضمنها مسألة تزويج الإمام (ع) ببنت المأمون.

٤ ـ إنّ القصة محبوكة حبكاً جيداً، حتى إنّ البعض من المؤرخين عدها في جملة معاجز الإمام (ع)[١] لا سيما وإنها ذكرت في النهاية: إنّ الباز الذي كان مع المأمون قد اصطاد حية «وبعض قال سمكة» خضراء البطن رقطة الظهر، أدخلت الدهشة على المأمون، فقفل راجعاً ولقي الإمام الجواد (ع) في موقفه السابق مع الصبيان، فقال له: ما عندك من أخبار السموات؟ وتقول القصة إنّ الإمام (ع) أجابه: نعم يا أميرالمؤمنين حدثني أبي عن آبائه عن النبي عن جبرئيل عن ربّ العالمين، إنّه قال: بين السماء والأرض بحر عجاج يتلاطم به الأمواج فيه حيات خضر البطون رقط الظهور، يصيدها الملوك بالبزاة الشهب يمتحن به العلماء[٢]... أو قال له (كما يذكر بعض المؤرخين)[٣]: فيختبرون بها سلالة أهل بيت النبوة.

---

(١) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٤٤، ومطالب السؤول، لكمال الدين بن طلحة الشامي.

(٢) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤١٠، عن ابن شهرآشوب.

(٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٤٤، نقلاً عن مطالب السؤول.

وأحسب أن حبك القصة بهذا الشكل الموحي بأنها مكرمة للإمام (ع) أريد منها أن تمرر هدفاً سياسياً يتلخص بتبرئة ساحة المأمون، واظهاره بمظهر الإنسان الوديع الحسن النيّة، الذي لم يشأ من وراء دعوته للإمام الجواد (ع) وتقريبه له، ومن ثمّ تزويجه من ابنته إلّا الحسن الجميل!!

هذا ومن الجدير بالذكر، انّي قد لاحظت أن القصة قد تسربت لبعض مؤلفات الموالين لأهل البيت (ع) نقلاً عن غيرهم! ولذا، فإني أجد أنّ تفاصيل القصة ليست بعيدة عن اعلام السلطة العباسيّة!!

مخطط المأمون!!

تظاهر الخليفة العباسي بولائه للإمام محمد بن علي الجواد (ع)، واستدعاه مكرماً معززاً إلى بغداد ليتناسب موقفه هذا مع مشروعه السياسي، ولكي يمر مخططه بسلام، ويحقق أهدافه كاملة في ايهام الناس ببراءته من دم الإمام الشهيد أبي الحس الرضا (ع)، ليأمن غائلة أتباعه ومريديه حتى أوحىٰ للأسرة الحاكمة نفسها إنّه صادق في توجهه مما أثار حالات شديدة من الجدل بينه وبينهم حول الموضوع، واشتد النزاع مع أقربائه من بني العباس حين أصرّ على تزويج ابنته أُم الفضل من الإمام الجواد (ع)، وكان رجال الأسرة الحاكمة يعللون رفضهم لمشروع الزواج بنقطتين:

أحدهما: صغر سنِّ الإمام (ع)!

ثانيهما: خوفهم على مستقبل الحكم العباسي من العلويين!

وبخصوص مسألة «صغر سن الإمام»، ردّ المأمون على خصومه بقوله: «قد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه، والاعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيت»[١]، ثمّ أشار عليهم ـ قطعاً للخلاف ـ أن يمتحنوه على يد من شاؤوا من أهل المعرفة، فاستجابوا لما أشار عليهم، فكانت مناظرته مع قاضي قضاة الدولة يحيى بن أكثم التميمي ـ كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق ـ.

أما بخصوص مخاوفهم السياسية: «أنّا نخاف أن تخرج به عنّا أمراً قد ملكناه الله، وتنزع منّا عزّاً قد ألبسناه، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم...»[٢].

فقد ردَّ المأمون قائلاً: «أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان به قاطعاً للرحم...»[٣].

هذا وتشير بعض المعلومات التاريخية أن المأمون واصل اتهامه للعباسيين بعدم انصافهم لأبناء أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وأحفاده، حتى ذكر لهم أن أميرالمؤمنين (ع) كان ذا فضل كبير على بني العباس خصوصاً عندما تولى الحكم، والخلافة حيث أسند أهم المواقع

---

(١) الإرشاد، للشيخ المفيد، ص ٣٢٠.

(٢) و (٣) الإرشاد، ص ٣٢٠، وتحف العقول، ص ٣٣١ (اختلاف يسير بالألفاظ).

في دولته إلى عبدالله بن العباس، وعبيدالله بن العباس، وقثم بن العباس، فكان الأول والياً على البصرة، والثاني على اليمن، والثالث على مكة المكرمة.. وهكذا كان المأمون يفتش في الأدلة لاقناع العباسيين بمنهجه.. وهكذا كان..!

وبعد أن هزم العباسيون أمام كرامات أبي جعفر (ع)، وفضله وعلو شأنه ـ كما رأينا في مناظرته مع القاضي ابن أكثم ـ أمضى المأمون ا عزم عليه من تزويجه في مراسيم سلطانية خاصة ـ أشرنا إليها ـ، مبالغة في إيهام الناس بصدق توجهه نحو آل البيت (ع).

وحسبما يفهم من رواية الشيخ المفيد[١] يبدو أن الإمام (ع) لم يمكث طويلاً في بغداد، وإنما استأذن الخليفة وخرج بأهله إلى المدينة، من أجل أن يباشر دوره الرسالي في حركة الإسلام التاريخية.

على أن من الجدير ذكره: أن المؤرخين تتضارب أقوالهم في المدة التي قضاها الإمام (ع) في بغداد إلّا أن الذي يفهم من ابن الأثير في تاريخه الكامل: أنّ الإمام (ع) جاء إلى بغداد في المرة الأُولى فتزوج ابنة المأمون، ولم يدخل بها، فعاد إلى المدينة المنورة، وفي سنة ٢١٥ هـ، جاء مرة أخرى ولقي المأمون في تكريت وهو في طريقه لقتال الروم، فأدخلت عليه زوجته أم الفضل، فعاد بها إلى المدينة في أيام الحج[٢].

وهذه الرواية تتناسب مع روايات القائلين بأن الإمام (ع) إنما تزوج

---

(١) الإرشاد، ص ٣٢٣.

(٢) الكامل، ج ٥، ص ٢١٩.

ابنة المأمون وعمره تسع سنوات وجمعاً للروايات كان دخوله بها بعد ذلك.

الإمام الجواد (ع) والمعتصم العباسي

توفي المأمون العباسي عام ٢١٨ هـ بعد أن امتدت به الخلافة عشرين سنة وأشهراً فتولى المعتصم الخلافة بعده، والمعتصم يختلف عن المأمون في أمور عديدة: منها أن المأمون سياسي بارع يتقمص اللين في تحقيق أهدافه، ويمكر بخصومه بطريقة ناعمة هادئة، وكان المأمون محباً للمعرفة والعلم، حتى أقام في بغداد أكبر دار للكتب والترجمة أسماها «دارالحكمة».

ولسعة اطلاعه العلمي ومرونته العقلية عده بعض المؤرخين شيعياً في اتجاهه الفكري والعقائدي مع أن الرجل لم يتبنَّ من التشيّع غير بعض الأفكار العقائدية والفقهية[1]، وبعضها كان يقلد المعتزلة بها لتفضيل الإمام علي (ع) على غيره من الخلفاء، وفي نظري أنّ المأمون كان ذا ثقافة اعتزالية حرة، لا أشعرية جامدة!!

أما المعتصم فينقصه الأمران المذكوران معاً، فقد كان محدود التفكير ميالاً للقسوة في تعامله مع الخصوم الفكريين والسياسيين، كما يفتقد

---

(١) يتبنىٰ المأمون بعض الأفكار التي يقول بها الشيعة وله مواقف كمواقفهم منها: القول بأحقية علي بن أبي طالب (ع) بالخلافة، وبتفضيله على الصحابة، وقوله بجواز نكاح المتعة، وثلبه لمعاوية بن أبي سفيان ولعنه.

كثيراً من مقومات الحنكة السياسية في إدارة شؤون الدولة، وقد تعرض حكمه للكثير من نماذج الاضطرابات السياسية في أقاليم عديدة من أقاليم الدولة العباسيّة ـ ممّا لسنا بصدد الحديث عنها ـ[1] وقد هيمن الجيش على الحكم في عصره بعد أن مال المعتصم إلى أخواله الأتراك وكوّن منهم جيشاً خاصاً، وأغدق عليهم الأموال الطائلة ممّا أثار حفيظة العسكريين العرب، وعمق الروح القومية في المجتمع، وضج عليه سكان بغداد، ونددوا بحكمه، وضاقوا به ذرعاً، حتى اضطروه إلى إنشاء «عسكر» شمال بغداد ثمّ سامراء عندها!

وتعتبر العملية التي أقدم عليها المعتصم أخطر ما واجهته الدولة العباسيّة في مسيرتها «منذ قيامها حتى عصر المعتصم» حيث ساءت الأحوال بعد المعتصم، واستشرى خطر العسكريين في الدولة منذ عهده، وباشروا الانقلابات العسكرية على الخلفاء الذين تعرضوا لسلطتهم.

وفي مطلع حكمه دعا المعتصم العباسي الإمام الجواد (ع) من المدينة المنورة إلى بغداد، ويبدو أنّه أراد أن يضع الإمام (ع) تحت الاقامة الجبرية، ليسهل على السلطة مراقبة تحركاته على طريق دفع المسيرة الإسلامية باتجاه النمو والتكامل، ومنعه من ممارسة دوره المبارك!

وتفيد بعض المعلومات أنّ الحاكم العباسي قد زور بعض الوثائق

---

(١) يراجع الكامل لابن الأثير، ج ٥، ص ٢٣٢ ـ ٢٦٥: ثورة الطالقان بقيادة محمد بن القاسم العلوي (رض)، ثورة الزط في البصرة، ثورة بابك الخرمي، تحرك الروم إلى زبطرة وغيرها من بلاد الإسلام، وثور المبرقع في فلسطين وغيرها.

لادانة الإمام (ع) بالدعوة لخلع الخليفة العباسي، ولكن الإمام (ع) نجح في إفشال مخطط المعتصم.[١]

ولقد كان لحاشية المعتصم أسوأ الأثر في تأجيج نار الحقد والحسد في قلب المعتصم العباسي على الإمام (ع) رغم حمله لتلك الروح البغيضة ابتداء وسوء ظنه بالعلويين!

فقد ذكر المؤرخون انّه بعد إجراء الإمام الجواد (ع) لعدة حوارات مع وعاظ السلاطين من فقهاء الدولة وقضاتها في عصر المعتصم[٢]، امتلأت نفوس بعضهم حقداً وحسداً ووشوا بالإمام (ع) لدى السلطان، وتحدثوا بما يثير مخاوفه ويؤرق ليله، حتى حمله عمي بصيرته على المكر بالإمام (ع) والتسبب في قتله مظلوماً شهيداً.

روى زرقان: إنّ ابن أبي داود قال: صُرت إلى المعتصم... فقلت: إنّ نصيحة أميرالمؤمنين عليَّ واجبة، وأنا أكلِّمه بما أعلم، إنّي أدخل به النار قال: وماهو؟

قلت: إذا جمع أميرالمؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته، وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته، وقواده ووزراؤه، وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك، أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه، ثمّ يحكم

(١) تاريخ الشيعة، ص ٥٧، المرحوم محمد حسين المظفري، ط بصيرتي، قم المقدسة.

(٢) سنستعرض بعضها في فصل قادم إن شاء الله تعالى.

بحكمه دون حكم الفقهاء! قال: فتغيّر لونه، وانتبه لما نبهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر فلاناً من كتابه ووزرائه بأن يدعوه ـ يعني يدعو الإمام الجواد (ع) ـ إلى منزله، فدعاه، فأبى أن يجيبه، وقال: قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم، فقال: إنّي إنّما أدعوك إلى الطعام، وأحب أن تطأ ثيابي، وتدخل منزلي، فأتبرك بذلك، فقال: أجب فلان بن فلان من وزراء الخليفة، فصار إليه، فلما طعم منها أحس بالسم، فدعا بدابته، فسأله ربّ المنزل أن يقيم قال: خروجي من دارك خير لك، فلم يزل يومه ذلك، وليله في حلقه حتى قبض.(١)

وتجسد هذه القصة المأساوية عدة حقائق:

١ ـ إنّ الإمام الجواد (ع) قد نافس السلطان العباسي حكمه، وهدد المركز العام للقيادة المنحرفة رغم تكتمه على هذا الأمر سيما وإن شطر الأمة يومئذٍ قد أجمع على وجوب قيادته الشرعية ـ كما أشارت القصة ـ.

٢ ـ إنّ حركة التشيّع لآل النبي (ص)، والميل عن سواهم قد بلغت مستوى رفيعاً جداً حتّى اضطرت حاشية المعتصم أن تعترف صراحة بهذه الحقيقة: «رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ويدّعون أنّه أولى منه بمقامه...».

٣ ـ إنّ القصة تعكس إحدى الصور البشعة للاغتيال السياسي غير المتورع التي يلجأ إليها الطواغيت عادة في تصفية قادة الاصلاح وحملة

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤١٩، نقلاً عن العياشي في تفسيره.

الهدى إلى الناس.

ومن الجدير بالذكر إنّ استعمال السموم في تصفية المعارضين للطاغوت كان أبرز أساليب الحكام العباسيين وأكثرها خبثاً وحقارة، وإن كان معاوية بن أبي سفيان أول المبادرين لها في تاريخ المسلمين!

هذا ومن الجدير بالذكر إنّ عدداً من المؤرخين يشيرون إلى أنّ عملية اغتيال الإمام (ع) بالسم كانت قد جرت على يد زوجته أُم الفضل بنت المأمون، حيث دفعها المعتصم وجعفر بن المأمون لذلك العمل البشع الذي يجسد القباحة والقسوة بأجلى صورهما.

ويميل الكثيرون إلى تأييد هذه الرواية بسبب سوء طوية أُم الفضل تجاه الإمام (ع) التي أظهرتها مراراً على شكل شكاوى من الإمام (ع) أو اتهامات له (سلام الله عليه ورضوانه) كالتهمة التي لفقتها عليه بأنه يتسرى[١] بالنساء مما يحملها على الشعور بالغيرة من عمله، كما أنّ أُم الفضل تعيش حالة الشعور بالنقص بسبب عدم انجابها للولد، إضافة إلى أنّ الإمام (ع) كان يخص زوجته أم ولد الهادي (ع) بكثير من الرعاية لفضلها ودينها وشرفها.

فقد روى السيد المرتضى (رض) في عيون المعجزات: «إنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر (عليه السّلام)، وأشار على ابنة المأمون زوجته بأن تسمه، لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر (ع)، وشدة غيرتها عليه، لتفضيله أُم أبي الحسن ابنه عليها، ولأنه لم يرزق منها

---

(١) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

ولداً، فأجابته إلى ذلك، وجعلت سماً في عنب رازقي، ووضعته بين يديه، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي»[١].

فلما مضى أبو جعفر (ع) شهيداً محتسباً، شيعه الآلاف من مواليه وشيعته فدفن في مقابر قريش في بغداد عند قبر جده شهيد السجون أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه الصّلاة والسّلام).

وهكذا ختمت حياة ولي الله أبي جعفر محمد بن علي الجواد (عليه الصّلاة والسّلام)، وهو في خضم ارسائه لقواعد دين الله تعالى، وكفاحه عن محجته البيضاء، وكان عمره الشريف أثناء شهادته خمسة وعشرين عاماً، حيث قضى، وهو في ريعان شبابه، وقمة حيويته.

٢ـ أتباع أهل البيت (ع) في عصر الجواد (ع)

يعتبر عصر الإمام محمد بن علي الجواد (ع) امتداداً لعصر أبيه وجده (صلوات الله عليهما)، وقد نهض الإمام (ع) بأعباء إمامة المسلمين، وأتباع أهل البيت (ع) في أوج مجدهم وعزتهم من ناحية الكم ومن ناحية المضمون والكيفيّة، حتى إنّ الحكم العباسي قد اضطر ـ من بعض الوجوه ـ إلى أن يخطب ودهم، ويسترضي جموعهم الكثيفة المنتشرة في كافة حواظر الدولة ومدنها وقراها.

وكانت عملية تسليم منصب ولاية العهد للإمام الرضا (ع) من قبل

---

(١) في رحاب أئمة أهل البيت (ع)، السيد محسن الأمين العاملي، ج ٢، ص ١٧٢.

المأمون العباسي قد روعيت فيها هذه الحقيقة الموضوعية ـ في أحد جوانبها ـ، كما أن استدعاء الإمام الجواد (ع) إلى بغداد من قبل نفس الحاكم وتزويجه إياه من ابنته أُم الفضل، كان يهدف ـ من بعض وجوهه ـ إلى استرضاء أتباع الإمام (ع) ومواليه الذين عبّر عنهم أحد مقربي المعتصم أنّهم «شطر الأمة» ـ كما أشرنا قبل قليل ـ.

ومن الجدير أن نذكره هنا أن أتباع أهل البيت (ع) ـ في عصر الكاظم والرضا والجواد (ع) ـ رغم ما تمتعوا به من امكانات مادية، ومعنوية هائلة في إطار المجتمع القائم يومذاك إلّا أن قيادتهم الشرعية المتمثلة بالأئمة (ع) ـ كل في وقته ـ كانت تقدر أن ما وصل إليه الشيعة من مستوى كمي وكيفي لم يؤهلهم بعد لاستلام الحكم، لأن استلام مسؤولية الحكم وقيادة الناس يحملهم مسؤوليات ضخمة إزاء الناس والرسالة لم تمكنهم الظروف الموضوعية يومئذٍ من النهوض بها، الأمر الذي كان الأئمة (ع) يعونه تفصيلاً، حتى أن الإمام الجواد (ع) ذاته كان يشير لبرنامج الأئمة (ع) في التغيير بقوله المختصر التالي: «اظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له».

ورغم نقص المعلومات التي نملكها حول الفترة التي عاشها الإمام الجواد (ع) فإن عدة إشارات وأحداث يحفظها تاريخ تلك المرحلة تعطي تصوراً مناسباً حول الخريطة التي يحتلها أتباع أهل البيت (ع) في العالم الإسلامي.

فمن جملة الإشارات والوقائع التاريخية يتجلى لنا أن أتباع أهل البيت (ع) قد انتشروا في أوساط سكّان وادي النيل وفي العراق وبلاد فارس والحجاز وغيرها بشكل واسع ومؤثر، وهذه بعض الإشارات المستفادة

من التاريخ بهذا الخصوص:

١ ـ من المعلوم أن مسألة صغر سن الإمام الجواد (ع) قد أثارت جواً من التساؤل والاضطراب في أوساط أتباع أهل البيت (ع) حول إمامته ـ كما ذكرنا ـ، إلّا أنّ هذه الرواية وإن كانت تشير إلى بعض مصاديق ذلك الاختلاف إلّا أنّها تعطي تصوراً حول مساحة الشيعة في العالم الإسلامي في عصر الإمام (ع): «لما قبض الرضا (ع) كان سن أبي جعفر (ع) نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد وفي الأمصار...»(١).

٢ ـ «وكان وقت الموسم، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً، فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة، ليشاهدوا أبا جعفر (ع)...»(٢).

٣ ـ «استأذن على أبي جعفر (ع) قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم، فدخلوا، فسألوه...»(٣).

٤ ـ «... خرج (ع) عليَّ، فنظرت إلى رأسه، ورجليه، لأصف قامته، لأصحابنا بمصر...»(٤).

فأتباع الأئمة الهداة (ع) في عصر الجواد (ع) قد انتشروا حسب هذه المداليل في عاصمة الدولة العباسيّة (بغداد) وفي مصر وفي العديد من الأمصار وأقاليم الدولة العباسية بشكل واسع ومؤثر حتّى إنّ الحاكم

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣٩٨ ـ ص ٣٩٩، نقلاً عن عيون المعجزات، للسيد المرتضى (رض).

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٩٦.

(٤) نفس المصدر، ص ٤٩٤.

العباسي صار مضطراً أن يحسب لأتباع الأئمة (ع) حساباً خاصاً، حتى يتحول ذلك الحساب إلى موقف تحدده طبيعة الحاكم نفسه أو تمليه الظروف التي يعيشها ذلك الحاكم.

وقد رأينا بناء على هذه الرؤية كيف أن المأمون سمى الإمام الرضا (ع) ولياً لعهده وأتبع ذلك بتقريب ولده الإمام الجواد (ع) ـ مع ما في ذلك من تكتيك سياسي ـ كما رأينا إنّ المعتصم العباسي قد انتهج اسلوباً مغايراً في تعامله مع الجواد (ع) اتسم بالاستفزاز والمراقبة للإمام (ع)، وتصاعد ذلك الموقف إلى مستوى اغتيال الإمام (ع) بعد ذلك ـ كما أشرنا ـ الأمر الذي ينطبق على حكام بني العباس السابقين لعصر الجواد (ع) أو اللاحقين.(١)

ولم يقتصر نمو شيعة أهل البيت (ع) على مستوى المساحة العامة للأمة، وإنما وصل بعض من كوادر هذا التيار وأصحاب الأئمة (ع) إلى مستوى التأثير في القرارات المركزية والسياسة العامة للدولة العباسيّة.

وقد ازدانت بعض المواقع الحساسة في الدولة بأسماء بعض «الأصحاب» رضوان الله عليهم من أمثال هرثمة بن أعين صاحب الإمام الرضا (ع) وخاصته الذي كان من أكبر قواد المأمون العباسي، وطاهر بن الحسين الخزاعي والي خراسان ومن أكبر قواد المأمون أيضاً، وهو الذي احتل بغداد وقتل الأمين، ومنهم الحسين بن عبدالله النيسابوري والي سجستان في عصر المأمون والمعتصم الذي كتب إليه الإمام الجواد (ع)

---

(١) يمكن ملاحظة ذلك من خلال مراجعة مواقف المنصور الدوانيقي والرشيد والمهدي والمتوكل والواثق وغيرهم تجاه أئمة أهل البيت (ع) وأتباعهم.

كتاباً يدعوه إلى الإحسان والرعاية لإخوانه المؤمنين:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم: أما بعد فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه، فأحسن إلى إخوانك، واعلم أنّ الله عزّوجلّ سائلك عن مثاقيل الذر والخردل».(١)

ولو أجرينا عملية إحصائية بسيطة لأصحاب الأئمة الذين تسلموا مواقع هامة في الدولة العباسيّة لوجدنا أسماء لامعة كثيرة ممّن عرفوا علناً بسلامة الخط أو ممّن أخفوا علاقتهم بخط الأئمة (عليهم السّلام) بسبب الظروف التاريخية التي مرّت بها حركة الأئمة الهداة (عليهم الصّلاة والسّلام) ـ ممّا لسنا بصدده في هذا البحث ـ.

وغاية ما أردنا أن نشير إليه هنا أن أتباع أهل البيت (ع) قد شملوا مساحة واسعة جداً من خريطة الأمة في عهد الإمام الجواد (ع).

طبيعة علاقة الإمام عليه السلام بجماهيره ومريديه

تتدخل في تحديد طبيعة العلاقة بين الإمام (ع) وجماهيره الظروف الموضوعية التي تعيشها الجماهير والإمام جميعاً، فربما يتعرض الإمام (ع) ـ باعتباره مصدر الهام الأمة ـ إلى عمليات التطويق والمضايقة كي يحد الطاغوت من مدى تأثيره في أوساط الأمة، كما جرى في عدة مراحل من مراحل التاريخ الإسلامي، وربما تتعرض جماهير الأمة نفسها للابتزاز والارهاب الفكري والسياسي، وتطارد طلائعها ليتم قطع الصلة

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٣٦.

بين الأمة والإمام (ع) تحت ضغط الإرهاب والكبت.

وقد تمر حالة من «الهدنة» التي تطول أو تقصر بين الطاغوت والأمة ومصدر الاشعاع فيها، لأسباب تتعلق بقناعات السلطان نفسه، أو لانشغاله بتحدٍ خارجي يصرفه عن شن العدوان على الإمام (ع) وحركته المباركة.

ولهذه الحقائق التي أشرنا إليها مصاديق كثيرة في تاريخنا وقد تجتمع كلّها في حياة إمام واحد أحياناً، كما جرى للإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، حيث تراوحت مراحل سيرته العطرة بين حرية الإرادة على التحرك والعمل بشكل واسع مروراً بالضغط على أصحابه وقتل بعضهم كالمعلى بن خنيس (رض) وانتهاء بالتضييق عليه ومن ثمّ استشهاده بفعل دسائس الطغاة.

وقد مرّ الإمام موسى الكاظم (ع) بظروف قاسية، منذ بداية إمامته وأوذي في الله على أيدي الجلادين، وعاش مغيباً عن الأمة في سجون طاغية زمانه (هارون الرشيد العباسي)، كما تعرض العلويون، وأصحاب الأئمة لأنماط شتّى من السجن والأذى والقتل والتشريد.

والإمام الرضا (ع) مرَّ بثلاث مراحل كذلك: عانى من العنت في أولها على يد الرشيد، وتحققت له حرية التحرك في فترة انشغال المأمون بمشاكل حكمه الداخلية، ثمّ ختمت حياته بالشهادة على يد المأمون نفسه.

أما الإمام محمد بن علي الجواد (ع)، فقد مرَّ بمرحلتين: مرحلة تمتع فيها بقسط مناسب من الحرية للتحرك والتأثير، وشكلت هذه المرحلة

أطول مراحل حياته، وقد قضاها في أغلب أيام المأمون (زهاء الخمسة عشر عاماً وكان أفضلها السنوات الخمس التي قضاها الإمام (ع) في عصر المأمون كما سنشير فيما بعد)، ومرحلة المضايقة والإقامة الجبرية التي عاشها منذ أواخر أيام المأمون وأوائل حكم المعتصم العباسي حتى استشهاده (ع) حيث استدعاه المعتصم إلى بغداد ووضعه تحت المراقبة، ثمّ دس له السم، فاستشهد (عليه سلام الله ورضوانه) بعد أن قضى سنتين ونصف من عهد المعتصم الذي حمله إلى بغداد عام ٢٢٠ هـ ووضعه تحت المراقبة حتى نهاية العام المذكور حيث قضى شهيداً محتسباً.

ومن الجدير بالذكر إنّ الإمام الجواد (ع) منذ أواخر أيام المأمون حتى رحيله إلى ربّه الأعلى كان يشعر بالعنت، ويتعرّض للمضايقة وسوء المعاملة حتى ضاق برماً بالحياة مع الظالمين.

ولقد حفظ التاريخ صوراً من تبرمه بالعيش تحت كابوس الظلم والظالمين.

فقد كان (ع) يقول: «**الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً**»[1] حيث اعتبر الموت فرجاً له لشدة ما كان يعانيه.

ويذكر تاريخ سيرته العطرة أنّه كلما عاد من المسجد يوم الجمعة يرفع يدي الضراعة قائلاً: «إلهي إن كان فرجي في موتي فعجّل وفاتي لَساعتي»[2].

---

(١) مفاتيح الجنان «المعرب»: الشيخ عباس القمي (رض)، ص ٢٥٠.

(٢) مفاتيح الجنان «المعرب»: الشيخ عباس القمي (رض)، ص ٢٥٠.

ويذكر عنه أنه كان دائم الكآبة والغم حتّى قضى نحبه مظلوماً، ولكي تتوضح لدى المتتبع صورة العلاقة بين الإمام (ع) والقواعد الشعبية فلابدّ من الرجوع إلى النشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي مارسها (صلوات الله عليه) في المرحلة الأُولى من حياته. أما المرحلة الأخيرة من عمره الشريف، فلم يكن في وسعه أن يتحرّك في أوساط الأمة إلّا بقدر ما سمحت له الظروف في تبيان بعض العقائد والأحكام الشرعية في بعض المسائل أيام المعتصم ـ مما سنشير إليها في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى ـ.

ومن نافل القول أن نشير إلى أن كتب السيرة والأحاديث تشير بوضوح إلى متانة العلاقة بين الإمام (ع) والأمة ويسرها نسبياً في مرحلة ما قبل المعتصم، وسنذكر بعضاً من مصاديق هذه العلاقة المباركة تاركين استكمال هذه الصورة إلى نشاطات الإمام (ع) عبر تلاميذه ومناظراته ورواته وتوجيهاته العامة للأمة، ووفود العلماء والفقهاء إليه في المدينة المنورة أو في مواسم الحج ونحو ذلك، مما سيتجلى في الفصول القادمة.

مصاديق من علاقة الإمام (عليه السلام) بالأمة

في كتب الأحاديث والسيرة نجد العديد من مصاديق الارتباط بين الأمة والإمام (ع)، ويُسرِ ذلك الارتباط وهادفيته والذي كان يتراوح عادة بين: قُلتُ أو سئل أو سألت الإمام (ع) أو كتبت إليه:

١ ـ عن علي من مهزيار قال: كتب رجل من بني هاشم إلى أبي جعفر الثاني (عليه السّلام): إنّي نذرت نذراً منذ سنين أن أخرج إلى ساحل من سواحل البحر إلى ناحيتنا مما يرابط فيه المتطوعة نحو مرابطهتهم بجدة وغيرها من سواحل البحر. أفَتَرى جعلت فداك أنّه يلزمني الوفاء به أو لا يلزمني أو أفتدي الخروج إلى ذلك بشيء من أبواب البر لأصير إليه إن شاء الله؟ فكتب إليه بخطه، وقرأته... الخبر[١].

٢ ـ عن محمد بن الحسين الأشعري قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي جعفر الثاني (ع): ما تقول في الفرو يشترىٰ من السوق؟ فقال: إذا كان مضموناً فلا بأس.[٢]

٣ ـ عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني (ع)، فسأله رجل فقال: أخبرني عن الربّ تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه، وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر (ع)...[٣] الخبر.

٤ ـ استأذن على أبي جعفر (ع) قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم، فدخلوا فسألوه...[٤].

٥ ـ اجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً،

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٢١.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ١٠٧٣.

(٣) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٤٩٦.

فخرجوا إلى الحج، وقصدوا المدينة، ليشاهدوا أبا جعفر (ع)...[١].

وهكذا ففي نهاية مطافنا حول الواقع الموضوعي الذي عاشه الإمام أبو جعفر الجواد (ع) نخلص إلى تدوين الحقائق التالية:

١ ـ إنّ أطول مراحل حياة الإمام الجواد (ع) قد تمتع فيها الإمام (ع) بحرية نسبية على الحركة والتأثير وهي المرحلة التي تمتد بين عام ٢٠٣ هـ حتى عام ٢١٨ هـ.[٢]

٢ ـ إنّ أتباع خط الأئمة (ع) قد بلغوا أوج انتشارهم في صفوف الأمة، حتى بلغوا نصفها حسب تقييم رجال السلطة العباسيّة.

٣ ـ إنّ الإمام (ع) قد قضىٰ أكثر سني إمامته للمسلمين في مدينة جده رسول الله (ص) ليكون أكثر قدرة على التحرك، وقيادة عملية البناء والتغيير في الأمة، بعيداً عن النفوذ المركزي للسلطة!

٤ ـ كانت الأرضية العامة ـ بناء على ما تقدم ـ مؤهلة نسبياً لنشاطات كبيرة باتجاه التغيير والبناء كان بمقدور الإمام (ع) أن ينهض بها ـ الأمر الذي ستتضح معالمه العامة في البحوث القادمة إن شاء الله تعالى ـ.

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٢) حسب رواية الكامل لابن الأثير، ص ١٩٢، وص ٢٢٧.

الفصل الرابع

دور الإمام الجواد ـ عليه السّلام ـ
في حركة الإسلام التاريخية

استثماراً لمواطن الخصوبة في الواقع الموضوعي، مع الرعاية التامة لمتطلبات الحكمة[١]، والتزاماً بمقتضيات المصلحة الإسلامية العليا نهض الإمام أبو جعفر الثاني (عليه السّلام) بمهامه الرسالية في الأمة خير قيام، وأسدى للإسلام وحركة الإسلام التاريخية كل ما كان بمقدوره أن يسديه من خدمات جليلة ـ على ضوء ما منح من فرص وإمكانات ـ.

ويمكننا أن نلاحظ دور الإمام (ع) في حركة البناء والتغيير في الأمة من خلال المفردات التالية:

تلاميذه والرواة عنه

ضمن حركة الإمام الجواد (ع) باتجاه البناء والتغيير المبارك استطاع أن يشكل تياراً من الحملة المخلصين لرسالته كرواة حديث وفقهاء ومتكلّمين ودعاة للفضيلة والاصلاح في الأمة على ضوء هدي أهل بيت الرسالة (عليهم السّلام).

ومن خلصائه من كان ملازماً لمن قبله من الأئمة (ع)، ومنهم من لازم الإمام الجواد (ع) ابتداء، وربما امتدّ به العمر ليلازم من بعده من الأئمة الهداة (ع).

---

(١) من مصاديق التحرك الحكيم للإمام (ع) إنّ بعض المراسلات بينه وبين أصحابه تتم دون ذكر أسماء مرسليها مراعاة للسرية والحكمة في العمل. أنظر رواية داود بن القاسم الجعفري بهذا الصدد. الكافي، ج ١، ص ٤٩٥ مثلاً.

وكان لتلاميذ الإمام (ع) دور إيجابي فاعل في نشر الفضيلة والحق والمعروف والهدى بين الناس من خلال رواياتهم وإرشادهم أو من خلال المؤلفات الجليلة التي ألفها بعضهم.

وفي هذه الزاوية سنحاول فحسب أن نذكر عدداً من هؤلاء التلامذة والرواة، ونشير إشارة سريعة لأبرز أحوالهم وما تميزوا به مراعاة للاختصار الذي التزمناه في هذه الدراسة المتواضعة لسيرة الإمام (ع):

١ ـ إبراهيم بن أبي محمود الخراساني من ثقاة الرواة عن الإمام الجواد (ع). كما ذكر الكشي في رجاله ـ وقد روى عن الإمام موسى الكاظم وعلي بن موسى الرضا عليهما السّلام.

٢ ـ إبراهيم بن محمد الهمداني: من الرجال الأجلاء، وقد روى عن الإمام الجواد (ع) وأبيه الرضا (ع) وولده الهادي (ع).

٣ ـ أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي «الكوفي»، كان عظيم المنزلة عند الإمام الجواد (ع) وأبيه الرضا (ع) كما كان جليل القدر.

٤ ـ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري أبو جعفر القمي شيخ قم وفقيهها، روى عن الإمام الجواد (ع) وأبيه وولده (ع).

٥ ـ أحمد بن معافي من أصحاب الجواد (ع) دون غيره من الأئمة (ع).

٦ ـ جعفر بن محمد يونس الأحول من أصحاب الجواد (ع) وأبيه وولده (ع).

٧ ـ الحسين بن بشار المدايني من أصحاب الجواد (ع) وأبيه وجده (ع).

٨ ـ الحسين بن سعيد بن حمّاد بن مهران الأهوازي كان مولىً للإمام علي بن الحسين (ع)، كان جليل القدر، وقد روى عن الجواد (ع). وأبيه الرضا وولده الهادي (ع).

٩ ـ الحكم بن علباء الأسدي من أصحاب الجواد (ع).

١٠ ـ حمزة بن يعلى الأشعري أبو يعلى القمي، كان ثقة ووجهاً روى عن الجواد (ع) وأبيه (ع).

١١ ـ داود بن القاسم بن إسحاق بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب يكنى أبا هاشم الجعفري من أهل بغداد، جليل القدر ثقة عظيم المنزلة عند الأئمة (ع) صاحب الإمام الجواد (ع) وروى عنه كما روى عن ولده الهادي (ع) وحفيده العسكري (ع).

١٢ ـ صالح بن محمد الهمداني من أصحاب الجواد (ع) وولده الهادي (ع).

١٣ ـ صفوان بن يحيى أبو محمد البجلي بياع السابري الكوفي: ن ثقات الرجال كانت له عند الإمام الرضا (ع) منزلة شريفة، وكان أوثق أهل زمانه عند أهل الحديث، وكانت له منزلة من العبادة والزهد والورع لم تكن لأحد من أهل طبقته، كان وكيلاً للإمام الجواد (ع) وأبيه، وكان من أصحاب الإمام الكاظم (ع) وقد اعتبره الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة من خواص الأئمة (ع) ووكلائهم الممدوحين.

١٤ ـ عبدالجبار بن المبارك النهاوندي من أصحاب الجواد (ع) وأبيه (ع).

١٥ ـ عبدالعظيم بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السّلام) يكنى أبا القاسم كان عابداً ورعاً من خواص أصحاب الإمام الجواد (ع)، وصاحب ولده علي الهادي (ع)[١] كان عظيم المنزلة عند الأئمة (ع) ومعتمداً لديهم!

١٦ ـ عثمان بن سعيد العمري يكني أبا عمر والسمّان ويقال له: الزيات الأسدي ثقة جليل القدر من أصحاب الجواد (ع)، عاصر الإمام العسكري (ع) وصار وكيلاً له.

١٧ ـ علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (ع): كان شديد الورع، كثير الفضل جليل القدر روى كثيراً عن الأئمة (ع) صاحب الجواد (ع) ومن قبله الصادق والكاظم والرضا (عليهم السّلام).

١٨ ـ علي بن بلال البغدادي من أصحاب الإمام الجواد (ع) فحسب.

١٩ ـ علي بن مهزيار الأهوازي أبوالحسن كان من خواص الإمام الجواد (ع)، وقد عظمت منزلته عنده، وكان له وكيلاً في بعض النواحي، وكان واسع الرواية جليل القدر، روى عن الرضا (ع) وحفيده الهادي (ع).

٢٠ ـ الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيسابوري كان ثقة جليلاً فقيهاً متكلماً، ترحم عليه الإمام العسكري (ع)، وقد روى عن الإمام الجواد (ع)، وذكر أنّه روى عن الرضا (ع).

٢١ ـ محمد بن عبدالجبار وهو ابن أبي الصّهبان «قمي» من أصحاب الجواد (ع) وولده الهادي وحفيده العسكري (ع).

---

(١) لاحظ كتابنا: الشريف عبدالعظيم الحسني: حياته، ومسنده.

٢٢ ـ أبو علي محمد بن عيسى بن عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري شيخ القميين روى عن الإمام الجواد (ع) وسمع من الإمام الرضا (ع).

٢٣ ـ محمد بن الفرج الرخجي من أصحاب الجواد (ع) وأبيه، وولده (ع).

٢٤ ـ محمد بن يونس من أصحاب الإمام (ع) وجده الكاظم وأبيه الرضا (ع).

٢٥ ـ المختار بن زياد العبدي من أصحاب الجواد (ع).

٢٦ ـ موسى بن عمر بن بزيع مولى المنصور (كوفي) أحد أصحاب الإمام الجواد (ع).

٢٧ ـ نوح بن شعيب البغدادي كان فقيهاً عالماً صالحاً مرضياً وهو من أصحاب الجواد (ع).

٢٨ ـ يعقوب بن إسحاق السكيت (أبو يوسف) كان عالماً باللغة، ومن خواص الإمام الجواد (ع)، ومقدماً عنده، وكان كذلك عند الإمام الهادي (ع)، قتله المتوكل العباسي لتشيّعه لأهل البيت (ع).

٢٩ ـ أبو يوسف الكاتب يعقوب بن يزيد بن حماد الأنباري، ثقة وصدوق روى عن الإمام الجواد (ع)، وكان من أصحاب أبيه (ع) قبله.

٣٠ ـ أبوالحصين بن الحضين الحضيني من أصحاب الجواد (ع) وولده الهادي (ع).[١]

---

(١) اعتمدنا في هذا العرض على وسائل الشيعة للحرّ العاملي (رض) المجلد العشرون.

من توجيهاته العامة

رغم اهتمامه الأساسي بأبراز معالم العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة، «كما سيتضح في بحث قادم» وحرصه على اعادة المسلمين إلى إصالة الفكر الإسلامي في محيط متلاطم بالاجتهادات والأفكار الخاطئة كان الإمام الجواد (ع) ـ كذلك ـ حريصاً على تقديم مختلف المفاهيم الحكيمة والمعطيات الثرة ذات الأهمية القصوى في صياغة العقلية الإسلامية والسلوك الفاضل، والمواقف المستقيمة إزاء الأشياء والأحداث.

وفي هذا العرض الموجز نحاول أن نسجل بعضاً من تلك التوجيهات التي تفيض حكمة، وهدىً، وخصوبة ورشداً:

كل ما نملك لله تعالى

يقول الإمام الجواد (ع): **«إنّ أنفسنا، وأموالنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة يمتّع بما متّع منها في سرور وغبطة، ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة، فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، ونعوذ بالله من ذلك»**.[1]

---

(١) التوجيهات الأربع مستفادة من تحف العقول، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

المهالك الأربع

ويقول (ع): **تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة، والاصرار على الذنب أمن لمكر الله: «ولا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون».**[١]

الشكر ضمان للمزيد

ويقول الإمام (ع): **«لا ينقطع المزيد من الله حتّى ينقطع الشكر من العباد».**[٢]

فلسفة المراحل في العمل الاجتماعي

ويقول (ع): **«إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له».**[٣]

مقومات لمسيرة المؤمن

ويقول (ع): **«المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممّن ينصحه».**[٤]

---

(١) التوجيهات الأربع مستفادة من تحف العقول، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

(٢) ترجمة لقوله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾.

(٣) هذا الحديث وما قبله مستفادة من تحف العقول، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

(٤) هذا الحديث وما قبله مستفادة من تحف العقول، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٧.

معطيات الثقة بالله تعالى

ويقول الإمام (ع): «من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور والثقة بالله حصن لا يتحصّن به إلّا مؤمن أمين، والتوكل على الله نجاة من كلّ سوء، وحرز من كلّ عدو».(١)

العامل الأساس في فساد الرجال

ويقول (ع): «لا أفسد للرجال مثل الطمع».(٣)

العطاء مرهون بالبذل

ويقول الإمام (ع): «إنّ لله عباداً خصهم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، وحولها إلى غيرهم».(٢)

زينة الورع

ويقول (ع): «ترك ما لا يعني زينة الورع».(٢)

حقيقة الإيمان

ويقول الإمام (ع): «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتّى يؤثر دينه

---

(١) و (٣) في كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٤٦، وذكر أنّ الحديثين رواهما الإمام الجواد (ع) عن جده علي بن أبي طالب (ع).

(٢) (٢) و (٣) و (٤) هذه الأحاديث مستفادة من حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٨.

على شهوته ولن يهلك حتى يُؤثِر شهوته على دينه».(٣)

غربة العلماء

ويقول (ع): «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم».(٤)

دعائم التوبة

ويقول (ع): «التوبة على أربع دعائم: ندم بالقلب، واستغفار باللسان وعمل بالجوارح، وعزم على أن لا يعود».(١)

من وسائل تحقيق رضوان الله تعالى

ويقول (ع): «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة».(٢)

ضوابط الرباني!

ويقول (ع): «أربع من كنّ فيه استكمل الإيمان: من أعطى لله، ومن منع في الله وأحب لله، وأبغض في الله».(٣)

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) هذه الأحاديث مستفادة من حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٨.

الأمور مرهونة بأوقاتها

ويقول الإمام محمد بن علي الجواد (ع): «لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه، فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمر فتقسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم».(٤)

من معالي الأخلاق

ويقول (ع): «حسب المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحداً بما يكره».

«ومن حسن خلق الرجل: كفَّه أذاه».

«ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه».

«ومن كرمه إيثاره على نفسه».

«ومن صبره قلة شكواه».

«ومن عقله إنصافه من نفسه».

«ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له».

«ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه».

«ومن رفقه تركه عذله بحضرة من يكره».

«ومن تواضعه معرفته بقدره».

«ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره، وعنايته بصلاح عيوبه».(١)

ويقول (ع): «من وعظ أخاه سراً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد

---

(١) و (٢) الفصول المهمة، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

شانه».[٢]

أساس الاستقامة

ويقول الإمام (ع): «لا تكن ولياً لله في العلانية وعدواً له في السر».[١]

عز المؤمن

ويقول (ع): «عز المؤمن غناه عن الناس».[٢]

من نوافذ المكروه

ويقول الإمام (ع): «من هجر المداراة قاربه المكروه».[٣]

معرفة النتائج مرهون بمعرفة المقدمات

ويقول (ع): «من لم يعرف الموارد أعيته المصادر».[٤]

من إيجابيات لقاء الاخوان

ويقول الإمام (ع): «ملاقاة الاخوان نشرة، و تلقيح للعقل وإن كان نزراً

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) في رحاب أئمة أهل البيت: السيد محسن الأمين العاملي (رض)، ج ٢، ص ١٧٠ ـ ١٧١، ط دار التعارف، بيروت، ١٩٨٠.

قليلاً».[١]

وهذه جملة أخرى من توجيهات الإمام الجواد (ع):

قال (ع): «كيف يضيعُ مَن الله كافله؟ وكيف ينجو مَن الله طالبه؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر ممّا يصلح».

وقال (ع): «من أطاع هواه أعطىٰ عدوّه مناه».

وقال (ع): «من هجر المداراة قارنه المكروه، ومن لم يعرف الموارد أعيته المصادر، ومن انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة وللعاقبة المتعبة».

وقال (ع): «قد عاداك من ستر عنك الرشد، اتّباعاً لما تهواه».

وقال (ع): «راكب الشهوات لا تقال عثرته».

وقال (ع): «الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال، وسلّم إلى كلّ عال».

وقال (ع): «إياك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف: يحسن منظره، ويقبح أثره».

وقال (ع): «الحوائج تطلب بالرجاء، وهي تنزل بالقضاء، والعافية أحسن عطاء».

وقال (ع): «إذا نزل القضاء ضاق الفضاء».

وقال (ع): «لا تعادِ أحداً حتّى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن

---

(١) كتاب الأمالي: للشيخ المفيد (رض)، مط الإسلامية، قم المقدسة، ص ٣٢٩، رواه الشيخ بإسناده عن عبدالعظيم الحسني (رض).

كان محسناً لا يسلّمه إليك، وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيكه فلا تعاده».

وقال (ع): «التحفظ على قدر الخوف».

وقال (ع): «عز المؤمن في غناه عن الناس».

وقال (ع): «نعمة لا تشكر كسيّئة لا تغفر».

وقال (ع): «لا يضرّك سخط من رضاه الجور».

وقال (ع): «من لم يرض من أخيه بحسن النيّة، لم يرض منه بالعطيّة».

وقال (ع): «الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة».

وقال (ع): «تعزَّ عن الشيء إذا ضيعته، لقلة صحبته إذا أُعطِيته».[1]

الإمام الجواد عليه السلام راوياً

الأصل في الأئمة الهداة (عليهم السّلام) أنّهم رواة عن رسول الله (ص) يستقون منه العلم الإلهي وراثة، فهم عيبة علمه، وحملة وحي الله عزّوجلّ، أمّا ما يطرأ من أحداث وقضايا، فإن الأئمة يلهمون الحكم الواقعي من الله عزّوجلّ في الأحداث الطارئة فيبلغونها للناس ـ كما

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن الديلمي، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠.

أشرنا لذلك في بحث سابق ـ.

والأحاديث التي بين أيدينا عن الأئمة (عليهم السّلام)، يختلط فيها ما هو رواية عن الرّسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، وما هم يلهمونه من علّام الغيوب عزّوجلّ إلهاماً.

ولعلّ إحدى الوسائل التي ندرك بواسطتها ما يصدعون به ـ رواية ـ من أحكام وعقائد وسنن وقيم، أنّ الإمام (ع) يذكر ضمن إيراده للحديث أنّه سمعه من أبيه عن جده عن آبائه عن رسول الله (ص) مثلاً، فيكون دوره في مثل هذا الامر رواياً للحديث، الأمر الذي ينطبق على الأئمة الهداة جميعاً كما يتضح من تراثهم الرسالي الضخم الذي حفظته المجموعات الحديثية المباركة التي نعوّل عليها في تلقي العقائد والأحكام والقيم من أمثال: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه وغيرها.(١)

والإمام أبو جعفر الثاني محمد بن علي الجواد (ع) كغيره من الأئمة (عليهم السّلام) فقد ورد في الأحاديث الواردة عنه (ع) مجموعة لابأس بها كمرويات عن آبائه (ع) عن جده المصطفى (ص).

ومن الضروري أن نشير إلى أن الأحاديث الأخرى التي ترد عن الإمام (ع) دون انتهائها بالنبي (ص) رواية لا يعني أنها ليست في مضمونها أحاديث للرسول (ص)، فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) أن أحاديثهم (ع)

---

(١) الكافي: للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (رض)، والثاني والثالث: لشيخ الطوسي (رض)، والكتاب الرابع: للشيخ الصدوق (رض).

هي أحاديث جدهم رسول الله (ص): «إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين، وحديث علي أميرالمؤمنين حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ».(١)

ولكن المقصود هنا الروايات التي وردت بالتسلسل الروائي على الوجه الفني المعهود في علم الحديث.

ويمكننا أن نسجل نماذج عديدة من الأحاديث التي أوردها الإمام الجواد (ع) رواية عن آبائه وجده المصطفى (عليهم الصّلاة والسّلام):

١ ـ أخرج الشيخ الصدوق عن محمد بن القاسم المفسّر الجرجاني بسنده عن الإمام محمد بن علي الجواد عن أبيه الرضا عن أبيه موسى ابن جعفر (ع) قال: سئل الصادق (ع) عن الزاهد في الدنيا، قال: «الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه».(٢)

٢ ـ وعنه بنفس الاسناد قال: قيل للصادق (ع): صف لنا الموت، فقال: «للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه، وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي، ولدغ العقارب أو أشد».(٢)

٣ ـ أخرج الشيخ الصدوق (رض) بسنده عن الحسن العسكري (ع) عن أبيه عن محمد بن علي الجواد (ع) عن آبائه عن علي بن الحسين (ع) في قول الله عزّوجلّ: ﴿الّذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ .

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٢٧٤.

(٢) و (٢) معاني الأخبار، ص ٢٨٧.

قال: «جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرد فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنه عزّوجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم. فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال عزّوجلّ ﴿والسماء بناء﴾ أي سقفاً من فوقكم محفوظاً، يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزّوجلّ: ﴿وأنزل من السّماء ماء﴾ يعني المطر نزله من العلى ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثمّ فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم، ثمّ قال عزّوجلّ: ﴿فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ ـ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ـ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى».(١)

٤ ـ روى الحرّ العاملي (رض) بأسناده عن الجواد (ع) عن آبائه عن علي (ع) قال: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم، وصومهم، وكثرة الحج،

---

(١) التوحيد، ص ٤٠٤.

والمعروف وطنطنتهم بالليل، أنظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة».[١]

٥ ـ وعنه (عليه السّلام) عن آبائه (ع) عن علي (ع) قال: بعثني النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: «**يا علي ما حار من استخار ولا ندم من استشار، يا علي عليك بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل ما لا تطوى بالنهار**».

«**يا علي أغد باسم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها**».[٢]

٦ ـ وعنه (ع) عن علي (ع) قال: في كتاب علي بن أبي طالب (ع): «**إن ابن آدم أشبه شيء بالمعيار أمّا راجح بعلم أو ناقص بجهل**».[٢]

٧ ـ وعنه (ع) عن علي (ع) أنّه قال لأبي ذر (رض) عندما نفاه الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى الربذة: «**إنّما غضبت لله عزّوجلّ فارجُ من غضبت له، أن القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، والله لو كانت السماوات، والأرضون رتقاً على عبد، ثمّ أتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، ولا يؤنسك إلّا الحق، ولا يوحشنك إلّا الباطل**».[٣]

٨ ـ أخرج الشيخ الصدوق (رض) بأسناده عن الإمام الجواد (ع) قال: قال رسول الله (ص) لعليّ بن أبي طالب (ع): «**يا علي لا يحبك إلّا من طابت ولادته، ولا يبغضك إلّا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلّا مؤمن ولا يعاديك إلّا كافر**». فقام إليه عبدالله بن مسعود، فقال: يا رسول الله، قد

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٢٠.

(٢) و (٢) و (٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٤٦. الدلجة: السير في الليل كلّه.

عرفنا علامة خبيث الولادة، والكافر في حياتك ببغض علي، وعداوته، فما علامة خبيث الولادة، والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه، وأخفى مكنون سريرته؟ فقال (ص): «يا ابن مسعود علي بن أبي طالب إمامكم بعدي، وخليفتي عليكم، فإذا مضى فابني الحسن إمامكم بعده، وخليفتي عليكم، فإذا مضى، فابني الحسين إمامكم بعده، وخليفتي عليكم، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد أئمتكم وخلفائي عليكم، تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطاً، وعدلاً كما ملئت جوراً، وظلماً، لا يحبهم إلّا من طالبت ولادته، ولا يبغضهم إلّا من خبثت ولادته، ولا يواليهم إلّا مؤمن، ولا يعاديهم إلّا كافر، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، ومن أنكرني فقد أنكر الله عزّوجلّ، لأن طاعتهم طاعتي، وطاعتي طاعة الله، ومعصيتهم معصيتي، ومعصيتي معصية الله عزّوجلّ، يا ابن مسعود إياك أن تجد في نفسك حرجاً مما أقضي فتكفر، فوعزة ربي ما أنا متكلف، ولا ناطق عن الهوى في علي والأئمة من ولده...» الحديث.(١)

٩ ـ أخرج الشيخ الصدوق (رض)، قال: حدثنا أبوالحسن أحمد بن ثابت الدواليبي بمدينة السّلام قال: حدثنا محمد بن الفضل النحوي قال: حدثنا محمد بن علي بن عبدالصمد الكوفي قال: حدثنا علي بن عاصم، عن محمد بن علي بن موسى، عن أبيه علي بن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي (ع) قال: دخلت على رسول الله (ص) وعنده أبيّ بن

---

(١) كمال الدين، وتمام النعمة، ج ١، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

كعب فقال رسول الله (ص): «مرحباً بك يا أبا عبدالله يا زين السماوات والأرض»، فقال له أبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال له: «يا أبيّ والذي بعثني بالحق نبياً إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض فإنه مكتوب عن يمين العرش[١] مصباح هاد وسفينة نجاة وإمام غير وهن[٢] وعز وفخر، وبحر علم وذخر (فلِمَ لا يكون كذلك!) وإن الله عزّوجلّ ركّب في صلبه نطفة طيّبة مباركة زكية خلقت من قبل أن يكون مخلوق في الأرحام أو يجري ماء في الأصلاب أو يكون ليل ونهار ولقد لقن دعوات ما يدعو بهنّ مخلوق إلّا حشره الله عزّوجلّ معه وكان شفيعه في آخرته، وفرج الله عنه كربه، وقضى بها دينه، ويسّر أمره، وأوضح سبيله، وقواه على عدوه، ولم يهتك ستره» فقال أُبيّ: وما هذه الدعوات يا رسول الله؟ قال: «تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: اللّهمّ إنّي أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك[٣] وسكّان سماواتك (وأرضك) وأنبيائك ورسلك (أن تستجيب لي) فقد رهقني من أمري عسر، فأسألك أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من عسري يسراً. فإن الله عزّوجلّ يسهل أمرك

(١) في بعض النسخ: «يمين عرش الله».

(٢) في بعض النسخ: «وإمام عز وهن»، وفي بعضها: «وعز وفخر وعلم وذخر».

(٣) أي بخصال استحق به العرش العز، أو بمواضع انعقادها منه. وفي بعض النسخ: «أسألك بعاقد ومعاقد عزك». وفي بعض النسخ: «أسألك بعاقد عرشك» ـ الخ، بدون الزوائد التي كانت بين القوسين.

ويشرح لك صدرك ويلقنك شهادة أن لا إله إلّا الله عند خروج نفسك» قال له أبيّ: يا رسول الله، فما هذه النطفة التي في صلب حبيبي الحسين؟ قال: «مثل هذه النطفة كمثل القمر وهي نطفة تبيين وبيان يكون من اتبعه رشيداً ومن ضلّ عنه غوياً» قال: فما اسمه وما دعاؤه؟ قال: «اسمه علي ودعاؤه «يا دائم يا ديموم، يا حي يا قيوم، يا كاشف الغم ويا فارج الهم، ويا باعث الرسل، ويا صادق الوعد» من دعا بهذا الدعاء حشره الله عزّوجلّ مع علي بن الحسين وكان قائده إلى الجنّة».

قال له أُبيّ: يا رسول الله، فهل له خلف أو وصي؟ قال له: «مواريث السماوات والأرض»، قال: فما معنى مواريث السماوات والأرض يا رسول الله؟ قال: «القضاء بالحق، والحكم بالديانة، وتأويل الأحلام[١] وبيان ما يكون». قال: فما اسمه؟ قال: «اسمه محمد وإن الملائكة لتستأنس به في السماوات ويقول في دعائه «اللّهم إن كان لي عندك رضوان وود فاغفر لي ولمن تبعني من إخواني وشيعتي وطيّب ما في صلبي» فركّب الله في صلبه نطفة مباركة طيّبة زكيّة، فأخبرني جبرئيل (ع)[٢] أن الله عزّوجلّ طيّب هذه النطفة وسمّاها عنده جعفراً، وجعله هادياً مهديّاً وراضياً مرضيّاً يدعو ربّه فيقول في دعائه: «يا ديّان[٣]، غير متوان يا أرحم الراحمين اجعل لشيعتي من النار وقاء، ولهم عندك

---

(١) في بعض النسخ: «الأحكام».

(٢) كذا في بعض النسخ وفي أكثرها: «فأخبرني عليه وآله السّلام انّ الله» ـ الخ.

(٣) في بعض النسخ: «يا دان غير متوان» والظاهر: «يا دنيا».

رضاء[١] فاغفر ذنوبهم ويسّر أمورهم، واقض ديونهم، واستر عوراتهم، وهب لهم الكبائر التي بينك وبينهم، يا من لا يخاف الضيم ولا تـأخذه سنة ولا نوم، اجعل لي من كلِّ (هم) وغمّ فرجاً» ومن دعا بـهذا الدعـاء حشره الله عنده أبيض الوجه مع جعفر ابن محمد إلى الجنّة».

«يا أبيّ وإن الله تبارك وتعالى ركّب على هذه النـطفة نـطفة زكـيّة مباركة طيّبة أنزل عليها الرحمة وسمّاها عنده موسى (وجعله إماماً)»قال له أُبيّ: يا رسول الله كلّهم يتواصفون ويتناسلون ويتوارثون ويصف بعضهم بعضاً؟ قال: «وصفهم لي جبرئيل (ع) عن ربّ العـالمين جـلّ جـلاله»، فقال: فهل لموسى من دعوة يدعو بها سوى دعاء آبائه؟ قال: «نعم يقول في دعائه: «يا خالق الخلق، ويا باسط الرزق، ويا فالق الحب (والنوى)، ويا بارئ النسم ومحيي الموتى ومميت الأحياء، و (يا) دائـم الثـبات، ومخرج النبات افعل بي ما أنت أهله» من دعـا بـذا الدعـاء قـضى الله عزّوجلّ حوائجه وحشره يوم القيامة مع موسى بن جعفر، وإن الله ركب في صلبه نطفة طيّبة زكية مرضية وسمّاها عنده عليّاً وكان الله عزّوجلّ في خلقه رضياً في علمه وحكمه، وجعله حجّة لشيعته يحتجّون به يوم القيامة وله دعاء يدعو به «اللّهمّ اعطني الهدى، وثبّتني عليه، واحشرني عليه آمناً أمن من لا خوف عليه ولا حزن ولا جـزع، إنك أهـل التـقوى وأهل المغفرة». وإنّ الله عزّوجلّ ركّب في صلبه نطفة مباركة طيّبة زكيّة مرضيّة وسمّاها محمد بن علي فهو شفيع شيعته ووارث علم جـدّه، له

---

(١) في بعض النسخ: «رضواناً».

علامة بيّنة وحجّة ظاهرة إذا ولد يقول: «لا إله إلّا الله محمد رسول الله (ص)»، ويقول في دعائه: «يا من لا شبيه له ولا مثال، أنت الله لا إله إلّا أنت ولا خالق إلّا أنت تفني المخلوقين وتبقى أنت، حلمت عمّن عصاك، وفي المغفرة رضاك» من دعا بهذا الدعاء كان محمد بن علي شفيعَهُ يوم القيامة. وإنّ الله تبارك وتعالى ركب في صلبه نطفة لا باغية ولا طاغية، بارّة مباركة طيّبة طاهرة سمّاها عنده عليّاً، فألبسها السكينة والوقار، وأودعها العلوم والأسرار وكلّ شيء مكتوم، من لقيه وفي صدره شيء أنبأه به وحذّره من عدوه ويقول في دعائه: «يا نور يا برهان يا منير يا مبين يا ربّ اكفني شرّ الشرور وآفات الدهور، وأسألك النجاة يوم ينفخ في الصور» من دعا بهذا الدعاء كان عليّ بن محمد شفيعه وقائده إلى الجنّة، وإن الله تبارك وتعالى ركّب في صلبه نطفة وسمّاها عنده الحسن بن علي فجعله نوراً في بلاده، وخليفة في أرضه وعزّاً لأمته، وهادياً لشيعته، وشفيعاً لهم عند ربهم، ونقمة على من خالفه، وحجّة لمن والاه، وبرهاناً لمن اتخذه إماماً، يقول في دعائه: «يا عزيز العزّ في عزّه، يا عزيزاً أعِزَّني بعزّك، وأيّدني بنصرك وأبعد عنّي همزات الشياطين، وادفع عنّي بدفعك وامنع عنّي بمنعك واجعلني من خيار خلقك، يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد» من دعا بهذا الدعاء حشره الله عزّوجلّ معه، ونجّاه من النار ولو وجبت عليه، وإن الله عزّوجلّ ركّب في صلب الحسن نطفة مباركة زكيّة طيّبة طاهرة مطهّرة، يرضى بها كلّ مؤمن ممّن أخذ الله عزّوجلّ ميثاقه في الولاية، ويكفر بها كلّ جاحد، فهو إمام تقيّ نقيّ بارّ

مرضيّ هادٍ مهديّ أوّل العدل وآخره(١) يصدق الله عزّوجلّ ويصدقه الله في قوله، يخرج من تهامة حتى(٢) تظهر الدلائل والعلامات وله بالطالقان كنوز لا ذهب ولا فضة إلّا خيول مطهمّة(٣) ورجال مسوّمة، يجمع الله عزّوجلّ له من أقاصي البلاد على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وصنائعهم وكلامهم وكناهم(٤)، كرّارون، مجدون في طاعته». فقال له أُبي: وما دلائله وعلاماته يا رسول الله؟ قال: «له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه وأنطقه الله تبارك وتعالى فناداه العلم اخرج يا وليّ الله فاقتل أعداء الله، وله رايتان(٥) وعلامتان وله سيف مغمد، فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده، وأنطقه الله عزّوجلّ فناداه السيف: أخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود لله ويحكم بحكم الله، يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وشعيب وصالح على مقدمه، فسوف تذكرون ما أقول لكم وأفوض

---

(١) في بعض النسخ: «مهدي يحكم بالعدل ويأمر به».

(٢) في بعض النسخ: «حين».

(٣) المطهم ـ كمعظم ـ السمين الفاحش، والنحيف الجسم الدقيق ـ ضده ـ كذا في القاموس، وفي الصحاح، المطهم: التام من كلّ شيء.

(٤) في بعض السنخ: «وحلاهم وكناهم».

(٥) في بعض النسخ: «هما رايتان». وفي العيون: «وهما آيتان».

أمري إلى الله عزّوجلّ ولو بعد حين، يا أُبيّ طوبى لمن لقيه، وطوبى لمن أحبّه، وطوبى لمن قال به، ينجيهم الله من الهلكة بالاقرار به وبرسول الله وبجميع الأئمة يفتح لهم الجنّة، مثلهم في الأرض كمثل المسك يسطع ريحه فلا يتغيّر أبداً، ومثلهم في السماء كمثل القمر المنير الذي لا يطفأ نوره أبداً».

قال أُبيّ: يا رسول الله، كيف حال[1] هؤلاء الأئمة عن الله عزّوجلّ؟ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنزل عليَّ اثني عشر خاتماً واثنتي عشرة صحيفة اسم كلّ إمام على خاتمه وصفته في صحيفته».[2]

١٠ ـ أخرج الحرّ العاملي (رض) بإسناده عن الإمام أبي جعفر (ع) عن آبائه عن علي (ع) قال: قال النبي (صلّى الله عليه وآله): «من أحيا ليلة القدر غفرت له ذنوبه، ولو كانت عدد نجوم السماء ومثاقيل الجبال، ومكائيل البحار».[3]

ونكتفي بإيراد هذه النماذج من الأحاديث التي رواها الإمام الجواد (ع) عن آبائه ومنهم جده المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن شاء المزيد فدونه المجموعات الحديثية المعروفة باهتمامها بتراث أهل البيت (ع) ومبادئهم الحيّة المعطاء.

---

(١) في بعض النسخ: «كيف جاءك بيان هؤلاء الأئمة».

(٢) كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٩.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ١٧٣.

نماذج من حواره ومناظراته ومسائله الفكرية

يعد باب الحوار الفكري والمناظرات لدى الأئمة من أهل البيت (ع) أوسع الحقول التي اهتمّ بها الأئمة الهداة (ع) لاحقاق الحق، والذود عن الصراط المستقيم وابطال ما تشبّث به المبطلون.

وباب الحوار الفكري عند الأئمة (ع) تدخل ضمنه مفردات عديدة، ويحتل الحوار العقائدي والثقافي، والفقهي موقع طليعة الأدوات التي يعتمدها الأئمة (ع) في طرح الحقائق صريحة، جليّة..

ورغم قصر عمر الإمام الجواد (ع)، وشراسة عمليات التعتيم على نشاطاته الرسالية، نجد إن كتب التاريخ والسيرة والفقه والكلام قد حفظت صوراً من حواره الفكري مما يعد غرة على جبين الدهر، وأهم ما حفظته لنا ذاكرة التاريخ: صوراً من الحوار العقيدي والحوار الفقهي.

ونورد في هذا البحث المتواضع نماذج من تلك الحوارات الهادفة القيّمة:

حواره (ع) مع عمّه عبدالله بن موسى[١]

أخرج الشيخ المفيد عن علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثني أبي قال: لمّا مات أبوالحسن الرضا (ع) حججنا فدخلنا على أبي جعفر (ع)

(١) الاختصاص، ص ١٠٢.

وقد حضر خلق من الشيعة من كلّ بلد لينظروا إلى أبي جعفر (ع) فدخل عمّه عبدالله بن موسى وكان شيخا كبيراً نبيلاً عليه ثياب خشنة وبين عينيه سجادة فجلس، وخرج أبو جعفر (ع) من الحجرة وعليه قميص قصب ورداء قصب ونعل جدد بيضاء فقام عبدالله فاستقبله وقبّل بين عينيه وقام الشيعة وقعد أبو جعفر على كرسيّ ونظر الناس بعضهم إلى بعض وقد تحيّروا لصغر سنّه فابتدر رجل من القوم فقال لعمّه: أصلحك الله ما تقول في رجل أتى بهيمة؟ فقال: تقطع يمينه ويضرب الحد!! فغضب أبو جعفر (ع) ثمّ نظر إليه فقال: يا عم اتّق الله اتّق الله إنّه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عزّوجلّ فيقول لك: لِمَ أفتيتَ الناس بما لا تعلم؟ فقال له عمه: أستغفر الله يا سيدي أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه؟ فقال أبو جعفر (ع): «**إنّما سئل أبي عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها، فقال أبي: تقطع يمينه للنبش ويضرب حد الزنا فإن حرمة الميتة كحرمة الحيّة**»، فقال: صدقت يا سيدي وأنا أستغفر الله، فتعجب الناس وقالوا: يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك؟ قال: نعم. فسألوه في مجلس عن ثلاثين ألف مسألة(١) فأجابهم فيها وله تسع سنين.(٢)

---

(١) يستبعد أن يكون في وسع السائلين أن يسألوا عن ثلاثين ألف مسألة في مجلس واحد وإن كان الإمام (عليه السّلام) يقدر على جواب أزيد منها ومن المحتمل أن يكون لفظة «ألف» من زيادة النساخ / هامش الاختصاص للشيخ المفيد.

(٢) رواه السيد المرتضى في عيون المعجزات، والمروي في المناقب على ما في التنقيح. ونقله المجلسي في البحار، ج ١٢، ص ١٢٠.

مناظرة الإمام مع ابن أكثم حول الأحاديث الموضوعة

أخرج الشيخ الطبرسي في الاحتجاج قال: روي أن المأمون بعد ما زوّج ابنته أُم الفضل أبا جعفر (ع) كان في مجلس وعنده أبو جعفر (ع) ويحيى بن أكثم وجماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن أكثم: ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي: أنّه نزل جبرئيل (ع) على رسول الله (ص)؟ وقال: يا محمد إنّ الله عزّوجلّ يقرئك السّلام ويقول لك سل أبا بكر فهل هو عني راضٍ فإني عنه راض؟!

فقال أبو جعفر (ع): «**لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في حجة الوداع**: قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عزّوجلّ وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي فاطرحوه»، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ فالله عزّوجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره؟ هذا مستحيل في العقول.

ثمّ قال يحيى بن أكثم وقد روي أن مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء.

فقال (ع): «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة وهما - يعني أبا بكر وعمر - قد أشركا بالله عزّوجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما في الشرك فمحال أن يشبههما بهما».

قال يحيى: وقد روي أيضاً أنهما سيدا كهول الجنّة فما تقول فيه؟ فقال: «وهذا الخبر محال أيضاً لأن أهل الجنّة كلّهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل وهذا الخبر وضعه بنو أميّة لمضادة الخبر الذي قال رسول الله في الحسن والحسين بأنهما سيدا شباب أهل الجنّة».

فقال يحيى بن أكثم: وروي أن عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة، فقال (ع): «وهذا أيضاً محال لأن في الجنّة ملائكة الله المقرّبين وآدم ومحمداً وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيئ بأنوارهم حتى تضيئ بنور عمر»؟!

فقال يحيى وقد روي أن السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال (ع): «لست بمنكر فضل عمر ولكن أبا بكر أفضل من عمر فقال على رأس المنبر: أن لي شيطاناً يعتريني فإذا ملت فسددوني».

فقال يحيى: قد روي أنّ النبي (ص) قال: لو لم أبعث لبعث عمر. فقال (ع): «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وإذ أخذنا من النبيّين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ قد أخذ الله ميثاق النبيّين فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه وكان الأنبياء (ع) لم يشركوا طرفة عين فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك؟ وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله، وقال رسول

الله (ص) نُبِّئْتُ وآدم بين الروح والجسد».

فقال يحيى بن أكثم: وقد روي أيضاً أنّ النبي (ص) قال ما احتبس عنّي الوحي قط إلّا ظننته قد نزل على ابن الخطّاب.

فقال (ع): «**وهذا محال أيضاً لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوته، قال الله تعالى: ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ . فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة عمن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به**».

قال يحيى بن أكثم: إنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) قال لو نزل العذاب ما نجا منه إلّا عمر.

فقال (ع): «**وهذا محال أيضاً، إنّ الله تعالى يقول: ﴿ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم، وهم يستغفرون﴾ ، وأخبر سبحانه أنّه لا يعذب أحداً مادام فيهم رسول الله، وماداموا يستغفرون الله تعالى**».[1]

حواره (ع) مع الفقهاء العباسيّين بحضور المعتصم

محمد بن مسعود العياشي في تفسيره باسناده عن أحمد بن الفضل الخاقاني من آل رزين قال: قطع الطريق بجلولاء على السابلة[2] من

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٩، نقلاً عن احتجاج الطبرسي (رض).

(٢) جلولا بالمد: ناحية في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ فاستباحهم المسلمون فسميت جلولا الوقيعة بما أوقع بهم المسلمون وهي الآن مدينة في العراق... والسابلة المارون على الطريق ـ عن هامش نسخة المصدر ـ.

الحجاج وغيرهم وأفلت القطاع فبلغ الخبر المعتصم، فكتب إلى عـامل، يدعوه إلى تأمين الطرق ومتابعة قطاع الطرق، ومعاقبتهم وإلّا ناله العقاب الشديد، فإن أنت طلبت هؤلاء وظفرت بهم وإلّا أمرت بأن تضرب ألف سوط ثمّ تصلب بحيث قطع الطريق قال: وطلبهم العامل حتى ظفر بهم واستوثق، ثمّ كتب بذلك إلى المعتصم فجمع الفقهاء وابن أبي داود ثمّ سأل الآخرين عن الحكم فيهم وأبو جعفر محمد بن علي الرضا (ع) حـاضر فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: ﴿إنّما جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ ولأميرالمؤمنين يـحكم بـأي ذلك شاء فيهم.

قال: فالتفت إلى أبي جعفر (ع) فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه؟ فقال: قد تكلم هؤلاء الفقهاء والقاضي بما سمع أميرالمؤمنين قال: وأخبرني بما عندك قال: إنّهم قد أضلوا فيما أفتوا به والذي يجب فـي ذلك أن يـنظر أميرالمؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق فإن كانوا أخافوا المسلمين فقط[1] ولم يقتلوا أحداً ولم يأخذوا مالاً أمر بإيداعهم الحبس فإن ذلك، معنى نفيهم من الأرض باخافتهم السبيل وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس وأخذوا المال أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بـعد ذلك قال فكتب إلى العامل بأن يمثل ذلك فيهم.

---

(١) في المصدر المطبوع: وإن كانوا أخافوا السبيل فقط.

وعن العياشي بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داود[١] قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك فقال: وددت اليوم أني قدمِتُّ منذ عشرين سنة. قال قلت له: ولِمَ ذاك؟ قال: لما كان من أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أميرالمؤمنين المعتصم. قال قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي (ع) فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال فقلت: من الكرسوع. قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع لقول الله في التيمم ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ واتفق معي على ذلك قوم.

وقال الآخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق. قال: فالتفت إلى محمد بن علي (ع) فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أميرالمؤمنين. قال: دعني ما تكلموا به أي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أميرالمؤمنين. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أما إذا أقسمت عليَّ بالله إنّي أقول أنّهم أخطأوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف. قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله (ص): السجود على سبعة أعضاء:

---

(١) ابن أبي داود قاضي العباسيّين في عصر المعتصم العباسي.

الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وان المساجد لله**﴾ يعني هذا الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ وما كان لله لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع ودون الكف. قال ابن أبي داود: فقامت قيامتي وتمنيت أنّي لم أكُ حياً.(١)

مسألة فقهية

ضمن المناظرات العديدة التي جرت بين الإمام (ع) ويحيى بن أكثم قاضي المأمون العباسي جرى هذا الاختبار الفقهي للإمام (ع):

قال المأمون ليحيى بن أكثم: اطرح على أبي جعفر محمد بن علي الرضا مسألة تقطعه فيها، فقال: يا أبا جعفر، ما تقول في رجل نكح امرأة على زنى أيحل أن يتزوجها؟ فقال (ع): «**يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره، إذ لا يؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثاً كما أحدثت معه، ثمّ يتزوّج بها إن أراد، فإنما مثلها مثل نخلة أكل رجل منها حراماً، ثمّ اشتراها، فأكل منها حلالاً**».(٢)

فذهل القاضي وبان عجزه.

---

(١) حلية الأبرار، ج ٢، ص ٤١٧ ـ ٤١٩.

(٢) تحف العقول، ص ٣٣٥. تقطعه بها: تعجزه عن جوابها.

هذه نماذج من مسائل الإمام أبي جعفر (ع) وحواره ومناظراته الفكرية، أوردناها كمصاديق على حركة الإمام (ع) وقوة حجته، في هذا الحقل من حقول جهوده في رفع راية الرسالة الإلهية ودعم مسيرتها التاريخية المباركة.

جهود الإمام (ع) في بلورة مفهوم التوحيد

يعد مفهوم التوحيد في الرسالة الإسلامية المسألة المركزية في الفكر الإسلامي، ورغم ما بذل القرآن الكريم والرسول الأعظم وأوصياؤه (عليهم السّلام) من جهود كبيرة من أجل بلورة هذا المفهوم العظيم في أذهان المسلمين، إلّا أن المذاهب الفكرية العديدة والمدارس الفلسفية التي ظهرت في دنيا المسلمين خصوصاً في العهد الأموي والعهد العباسي قد بثت أفكاراً وتصورات عن جوانب كثيرة من هذه المسألة نأت بها بعيداً عن الحق والصراط المستقيم، تأثراً بالثقافات الشرقية والغربية القديمة التي دخلت ثقافة المسلمين بعد الفتح، وبعد حركة الترجمة الواسعة لتلك الثقافات كثقافة الاغريق والثقافة الهندية القديمة وثقافة بلاد فارس، والفكر اليهودي والنصراني وأمثال ذلك، كما أن جمود بعض المدارس الفكرية عند ظواهر النصوص الواردة في القرآن الكريم، وعدم الرجوع للقرائن، والسنة الشريفة الصحيحة ساهم بدرجة ما في تبني أفكار وتصورات بعيدة عن استقامة وسلامة التوحيد الحق.

ورغم ما بذله الأئمة الأول «آباء الإمام الجواد» (عليهم السّلام) بخصوص هذه المسألة إلّا أن مساحة تحرك الأئمة الذين عاصروا أواخر أيام الدولة الأموية، ومختلف مراحل الدول العباسية كانت أكبر بسبب استشراء فكر البلاد المفتوحة وشيوع كثير من المفاهيم في بلاد المسلمين، إضافة إلى توفر مساحات واسعة من الامكانات لانتشار تلك الأفكار، أما بقصد من بعض السلاطين أو عدم حرصهم على المصلحة الإسلامية العليا، ولا ننسى جهل البعض منهم وغباءه اللذين يحولان دون تفهم مخاطر تلك الأفكار المنحرفة التي انتشرت في بلاد المسلمين.

لقد كان لجهود الإمام أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ومن بعده[1] من الأئمة الفضل الأكبر في بلورة خط التوحيد الخالص لما عقدوه من مناقشات، وحوارات فكرية مميزة في هذا السبيل، كالحوارات مع المعتزلة والأشاعرة والزنادقة وأصحاب الأديان وأمثالهم من ذوي التصورات الخاطئة، وكان للإمام الجواد (ع) يد بيضاء في هذا السبيل مما حفظت كتب السيرة والعقيدة بعضه على شكل أحاديث ومناقشات وإجابات على أسئلة، بلورةً لحقيقة هذا المفهوم الأساسي في الرسالة الإلهيّة، ودحضاً للمقولات التي تبناها المنحرفون قبال المتبنيات الحقيقية في هذا السبيل. وهذه صور، ونماذج من نشاطات الإمام الجواد (ع) في هذا السبيل:

---

(١) الكافي، ج ١، ص ١١٨، والتوحيد، للشيخ الصدوق.

معنى الواحد

عن أبي هشام الجعفري قال: سألت أبا جعفر الثاني (عليه السّلام): ما معنى الواحد؟ فقال: «**اجماع الألسن عليه بالوحدانيّة كقوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾**»[1].

معنى الصمد

عن داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر (ع): جعلت فداك ما الصمد؟ قال: «**السيد المصمود إليه في القليل والكثير**».[2]

لا تدركه الأبصار

عن أبي هشام الجعفري قال: قلت لأبي جعفر (ع): لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار؟ فقال: «**يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون**»؟[3]

---

(١) الاختصاص، ص ٦، والكافي، ج ١، ص ١٢٣.

(٢) الاختصاص، ص ٦، والكافي، ج ١، ص ١٢٣.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٩٩.

لا تتوهمه!

عن عبدالرحمن بن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر الثاني (ع) عن التوحيد، فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال: **«نعم غير معقول، ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء، فهو خلافه، لا يشبهه شيء، ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام، وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يُتصور في الأوهام، إنما يتوهّم شيء غير معقول، ولا محدود»**.(١)

لا يعطل ولا يشبه

عن الحسين بن سعيد قال: سئل أبو جعفر الثاني (ع): يجوز أن يقال لله: إنّه شيء؟ قال: **«نعم، يخرجه من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه»**.(٢)

أسماء الله تعالى وصفاته

عن أبي هاشم الجعفري، قال: كنت عند أبي جعفر الثاني (ع) فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه،

---

(١) التوحيد، ص ١٠٦.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٨٢. التعطيل عدم إثبات وجوده تعالى أو عدم إثبات صفاته تعالى وحد التشبيه تشبيهه بغيره من الموجودات.

فأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر (ع): «إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: هي هو أي إنّه ذو عددٍ وكثرةٍ فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: لم تزل هذه الصفات والأسماء، فإن «لم تزل» يحتمل معنيين: فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثمّ خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذكره[1] وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات المعاني، والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف والائتلاف[2]، وإنما يختلف ويأتلف المتجزي، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا الله كثير ولا قليل، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ، والله واحد، لا متجزئ، ولا متوهم بالقلة والكثرة، وكلّ متجزئ ومتوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له، فقولك: إنّ الله قدير خبّرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم إنما نفيت بالكلمة الجهل، وجعلت الجهل سواه، فإذا أفنى الله الأشياء

---

(١) أي هي ما به يذكر تعالى.

(٢) أي مدلولات هذه الأسماء والصفات ومفاهيمها كأنفسها مخلوقات، والذي يقصد بها ويتوجه إليه بها هو الله تعالى الذي لا يليق به... الخ. وفي الكافي، باب معاني الأسما: «والأسماء والصفات مخلوقات والمعاني، والمعنى بها ـ الخ».

أفنى الصور والهجاء، ولا ينقطع[١] ولايزال من لم يزل عالماً».

قال الرجل: كيف سمّي ربُّنا سميعاً؟ قال: «لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سمّيناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون وشخص وغير ذلك، ولم نصفه بنظر لحظ العين، وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأحقر من ذلك، وموضع الشق منها والعقل[٢] والشهوة والسّفاد والحدب على نسلها، وإفهام بعضها عن بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فَعَلِمْنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفيّة للمخلوق المكيف، وكذلك سمّي ربنا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ولو كان قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له، ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا أقطار، محرَّم على القلوب أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تكيِّفه، جلّ عن أداةِ خلقِه وسِماتِ بريّته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً».[٣]

---

(١) في الكافي والبحار: «والتقطيع» مكان «لا ينقطع» أي تقطيع الحروف كما في صدر الرواية.

(٢) في الكافي: «موضع النشوء منها»، وفي البحار: «موضع المشي منها». وليس المراد بالعقل ما في الإنسان بل مطلق الشعور في أمورها للقطع بأن الحيوان فاقد له.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق (رض)، ص ١٩٣ ـ ص ١٩٤.

رعاية شؤون الأمة والاهتمام بأمورها

من الأمور الأساسية التي دأب الأئمة من آل البيت (ع) على تعاهدها والالتزام بها هي مسألة: رعاية شؤون الأمة والاهتمام بأمورها اليومية فضلاً عن الاهتمامات العامة الكبرى.

ويأتي الاهتمام بشؤون الأمة الجزئية واليومية كمصاديق وتطبيقات لمبدأ وجوب الاهتمام بشؤون المسلمين الثابت في شريعة الله عزّوجلّ.

وقضية الرعاية لشؤون الأمة من قبل الإمام المعصوم (ع) تأتي منسجمة كذلك مع دور الأبوة لهذه الأمة الذي ينهض به الإمام (ع) عادة، حيث يتحقق هذا الدور إضافة إلى الشعور بضرورة الاهتمام بأمور المسلمين بعناوين مختلفة، فقد يأتي تخفيفاً لآلام الأمة التي يسببها ظلم الأنظمة والقوانين الجائرة، أو تأتي نصحاً وتوجيهاً نحو الخير أو تكون تأديباً وإرشاداً لسلوك طريق الحق وأمثال ذلك.

وفي حياة الإمام الجواد (ع) مصاديق كثيرة وخصيبة لهذه الرعاية وهذا الاهتمام نذكر منها:

١ ـ من مصاديق توجيهه وتأديبه للناس

عن أبي ثمامة قال: قلت لأبي جعفر الثاني (ع): أني أريد أن ألزم مكة والمدينة، وعليَّ دين، فقال: «**ارجع إلى مؤدي دينك، وانظر أن تلقى الله**

عزّوجلّ، وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون».[١]

وعن قاسم الصيقل: كتبت إلى أبي جعفر الثاني (ع): إنّي كنت كتبت إلى أبيك (ع) بكذا وكذا، فصعب عليَّ ذلك... فكتب إليَّ ـ يعني أبا جعفر (ع) ـ: «**كلّ أعمال البر بالصبر يرحمك الله...**».[٢]

٢ ـ رعايته للمحتاجين

عن إسماعيل بن عياش الهاشمي قال: جئت إلى أبي جعفر (ع) يوم عيد، فشكوت إليه ضيق المعاش، فرفع المصلى، وأخذ من التراب سبيكة من ذهب، فأعطانيها، فخرجت بها إلى السوق، فكان فيها ستة عشر مثقالاً من ذهب.[٣]

عن داود بن القاسم الجعفري: دخلت على أبي جعفر (ع)... فأعطاني ثلاثمائة دينار، وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمّه، ثمّ قال: «**أما أنّه سيقول لك: دلني على حريف يشتري لي بها متاعاً، فدِلَّه عليه...**».[٤]

٣ ـ الاهتمام بذوي الاسقام

عن الشيخ أبي بكر بن إسماعيل قال: قلت لأبي جعفر بن الرضا: إن

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٨٣.

(٢) نفس المصدر، ج ٢، ص ١٠٧٠.

(٣) كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٦٨.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٦١.

لي جارية تشتكي من ريح بها، قال: «ائتني بها»، فأتيته بها فقال لها: «ما تشتكين يا جارية»؟ قالت: ريحاً في ركبتي، فمسح يده علىٰ ركبتها من وراء الثياب، فخرجت، وما اشتكت وجعاً بعدِ ذلك.[1]

وقال محمد بن عمير الرازي: كان يصيبني وجع في خاصرتي في كل اسبوع ويشتد ذلك بي أياماً، فسألته أن يدعو لي بزواله عنّي، فقال: «وأنت فعافاك الله»، فما عاد إلى هذه الغاية.[2]

إنّ هذه الاهتمامات اليومية التي كان الإمام (ع) ينهض بها تجاه المسلمين قد عززت ثقة الناس بالإمام (ع) وكسبت قلوبهم إلى خطه المبارك، وقدمت أرقى مصاديق رعاية القائد المسلم لجماهير الأمة المستضعفة!

إرشاد الأمة إلى وصي الرسول العاشر (ص)

رغم وجود النص العام والتفصيلي من رسول الله (ص) على أوصيائه الهداة (عليهم الصّلاة والسّلام) ـ كما أشرنا ـ فإن من مهمات أي وصيٍّ إمامٍ أن يدل الأمة على الإمام الذي يليه، بالشكل الذي تسمح به ظروفه الموضوعية.

---

(١) نفس المصدر السابق، ص ٣٦٧.

(٢) المصدر السابق والصفحة.

ونهوضاً بهذه المهمة الشرعية سمّىٰ كل إمام من أئمة أهل البيت (ع) الإمام الذي بعده، وقد نهض الإمام محمد بن علي الجواد (ع) بذلك أسوة بآبائه الهداة الراشدين من خلال عدة وصايا وإرشادات ومواقف نذكر منها ما يلي:

ـ أخرج الكليني محمد بن يعقوب (رض) بسنده عن إسماعيل بن مهران قال: «لما خرج أبو جعفر عليه السّلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأُولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً، وقال: **ليس الغيبة حيث ظننتَ في هذه السنة**، فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم صرت، فقلت له: جعلت فداك أنت خارج، فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى أخضلت لحيته، ثمّ التفت إليَّ، فقال: **عند هذه يخاف عليَّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي**».(١)

ـ أخرج الشيخ المفيد بأسناده عن الخيّراني عن أبيه أنه قال: كنت الزم باب أبي جعفر (ع) للخدمة التي وكلت بها، وكان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري يجيء في السحر من آخر كل ليلة ليتعرّف خبر علّة أبي جعفر عليه السّلام، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر وبين الخيراني إذا حضر قام أحمد وخلا به الرسول، قال الخيراني، فخرج ذات ليلة، وقام أحمد بن محمد بن عيسى عن المجلس، وخلا بي الرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول: إنّ مولاك يقرأ

---

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ٣٢٣.

عليك السّلام، ويقول لك إني ماضٍ، والأمر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي، ثمّ مضى الرسول، ورجع أحمد إلى موضعه، فقال لي ما الذي قال لك؟ قلت: خيراً قال: قد سمعت ما قال، وأعاد عليَّ ما سمع، فقلت له قد حرم الله عليك ما فعلت لأن الله يقول: ﴿ولا تجسسوا﴾ فإذا سمعت فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً وإياك أن تظهر إلى وقتها قال: وأصبحت، وكتبت نسخة الرسالة في عشر رقاع، وختمتها، ودفعتها إلى عشرة من وجوه أصحابنا، وقلت: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها، واعملوا بما فيها فلمّا مضى أبو جعفر عليه السّلام لم أخرج من منزلي حتى عرفت إن رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد ابن الفرج يتفاوضون في الأمر، فكتب إليَّ محمد بن الفرج يعلمني باجتماعهم عنده، ويقول لولا مخافة الشهرة لصرتُ معهم إليك فأحبُ أن تركب إليَّ فركبت، وصرت إليه فوجدت القوم مجتمعين عنده، فتجارينا في الباب فوجدت أكثرهم قد شكّوا فقلت: لمن عنده الرقاع، وهم حضور أخرجوا تلك الرقاع فأخرجوها فقلت لهم: هذا ما أمرت به، فقال بعضهم: قد كنّا نحب أن يكون معك في هذا الأمر آخر ليتأكد هذا القول فقلت لهم: قد أتاكم الله بما تحبون، هذا أبو جعفر الأشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة فاسألوه، فسأله القوم فتوقف عن الشهادة فدعوته إلى المباهلة فخاف منها، وقال: قد سمعت ذلك وهي مكرمة كنت أحب أن تكون لرجل من العرب فأمّا مع المباهلة فلا طريق إلى كتمان الشهادة فلم يبرح القوم حتّى سلّموا لأبي الحسن

عليه السّلام.[١]

ـ عن الصقر بن دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (عليهما السّلام) يقول: إنّ الإمام بعدي ابني: عليٌّ، أمره أمري وقوله، قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن.[٢]

---

(١) الإرشاد، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ٥٠ / ١١٨، نقلاً عن كمال الدين للشيخ الصدوق.

الفصل الخامس

حول الانتفاضات العلوية في عصر الإمام ـ عليه السّلام ـ

حول الانتفاضات العلوية في عصر الإمام عليه السلام

مقدمة

فرضت على أحداث التاريخ الإسلامي منذ نهضة أبي عبدالله الحسين بن علي سبط رسول الله (عليه السّلام) ظاهرة الانتفاضات العلوية على الظالمين عبر التاريخ الأموي والعباسي، فلم يهدأ صليل سيوف «الخارجين» على الطواغيت لانتفاضة باسلة إلّا ليقض مضاجع الظلم ثوار آخرون.

وهكذا تفجرت ثورة زيد بن علي بن الحسين (ع)، وثورة محمد النفس الزكية وثورة حسين فخ وغيرها ليبقى دوي الرفض الإسلامي متلاحقاً في مسيرة المسلمين يوقظ الغافلين عن الحق ويؤرق ليل الطغاة والظالمين.

وقد حمل التاريخ الإسلامي ثناء جميلاً من الأئمة الهداة من أهل البيت (ع) على الثورات والثوار، واستنزل البعض منهم على الثائرين رحمة الله وبركاته ورضوانه.

فالإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) يقيّم حركة زيد بن علي (ع) بقوله: **«رحم الله عمّي زيداً أنه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر**

لو فىٰ لله من ذلك أنه قال: ادعوكم إلى الرضا من آل محمد».[١]

ويقول الإمام الصادق (ع): **«لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددتُ أن الخارجي من آل محمد خرج وعليَّ نفقة عياله».**[٢]

ويقول الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وهو يودع ابن عمه الحسين بن علي قتيل فخ: **«يا ابن عم إنك مقتول... فأحد الضراب، فإن القوم فساق يظهرون إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وعند الله احتسبكم من عصبة».**[٣]

ورغم أن التاريخ لم يسعفنا بتصريحات للإمام الجواد (ع) حول الثورات والثوار العلويين في عصره، فإن تبني الأئمة (ع) للمخلصين من الثوار لا يحتاج إلى دليل.

---

(١) مقدمة تاريخ الإمامية للدكتور عبدالله الفياض نقلاً عن وسائل الشيعة.

(٢) مقدمة تاريخ الإمامية للدكتور عبدالله الفياض نقلاً عن السرائر لابن إدريس ومعنى الخارجي: (الخارج على الظلم) الثائر على الظلم.

(٣) مقاتل الطالبيين، ص ٤٤٧.

أهم الثورات العلوية في عصر الإمام الجواد عليه السلام

رغم أن السلطة العباسية في عهد المأمون بن الرشيد قد بذلت وسعها من أجل اقناع أهل البيت (عليهم السّلام) بالتخلي عن معارضة الحكم العباسي، حيث سلكت لتحقيق هذا الهدف وسائل شتى كان في طليعتها إسناد منصب ولاية عهد المأمون إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، واسناد مناصب أخرى متفاوتة إلى عدد من أصحاب الأئمة (ع)... أقول: رغم محاولة السلطة العباسيّة المذكورة فإن أتباع أهل البيت (ع) كانوا يشخصون أن تلك الأعمال الترقيعية لا تهدف إلّا إلى التخدير وكسب الوقت ليس إلّا لا سيما وأن الحكم العباسي في عصر المأمون قد تعرض إلى أزمات سياسية حادة كان في مقدمتها الانشقاق بين الأمين والمأمون، وما تبعه من تمزق في صف الدولة، لم ينتهِ إلّا بعد قتل الأمين، والسيطرة على بغداد من قبل أنصار المأمون!

ومن أجل ذلك بقي أتباع الأئمة (ع) عند موقفهم الرافض للسلطات العباسيّة مهما تظاهرت بالاقتراب إلى الأئمة وأتباعهم، ولذا فإن الثوار العلويين وأتباعهم لم يغمدوا السيوف رغم الوعود والدعاوى العريضة من قبل السلاطين!

وقد كان نصيب عهد المأمون من الانتفاضات العلوية كبيراً، كما كان عهد خليفته المعتصم.

وقد أخفقت كافة محاولات التصفية والأبادة للثوار العلويين في إيقاف

حركة الرفض للانحراف العباسي التي كان عاملان أساسيان يساعدان على تناميها واستمراريتها:

١ ـ العامل الأوّل: استمرار حركة الأئمة (ع) التغييرية في الأمة وجهودهم التعبوية كانت توفر الأرضية لنمو الثورة في أحضان الأمة، فكلما أخمد الطغاة انتفاضة علوية أو شيعيّة معارضة وفرت الأمة بديلاً لها!

٢ ـ العامل الثاني: استمرار الحكم العباسي في زرع الانحراف واشاعة الظلم ورعايته للفساد وعدم تمتعه بالشرعية يوفر عاملاً أساسياً للرفض والثورة من قبل الحريصين على رسالة الله وحدودها المباركة، كما تجسده مفاهيم الثوار قاطبة.[١]

أما أهم الثورات العلوية والشيعيّة التي تفجرت في عصر إمامة أبي جعفر الثاني محمد بن علي الجواد (ع) فهي:

١ ـ ثورة الكوفة

امتداداً لثورات علوية وشيعية ضد الحكم العباسي نهضت الكوفة عام ٢٠٢ هـ بقيادة أبي عبدالله بن منصور من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، وتولى الزعامة الروحية لهذه الحركة العلوي الثائر علي بن محمد بن جعفر الصادق (ع).

وقد جاءت حركة الكوفة هذه على أثر إصرار واليها على حمل أهل

---

(١) ينظر كتاب مقاتل الطالبيين لاستقصاء مفاهيم الثوار ورؤاهم.

الكوفة على طاعة المأمون العباسي بينما كان أهل الكوفة أتباع أهل البيت (ع) يصرون على بيعة الإمام علي بن موسى الرضا (ع) خليفة.[١]

ولما لم يصل الطرفان إلى موقف وسط رفع الثوار شعار «لا طاعة للمأمون»، واندلع القتال وانتشرت الحرائق في مدينة الكوفة، وقدمت المدينة الكثير من الخسائر في الأرواح والممتلكات بسبب تنمر رجال السلطة المحليّة.

وقد كسب الثوار الموقف وألحقوا الخسائر بأنصار العباسيين، حتى هزموهم.

ويبدو من سير الأحداث أن العباسيين قد أُجبروا على تغيير الوالي وتعيين الفضل بن محمد الكندي والياً جديداً على المدينة، هذا الرجل الذي لجأ إلى المكيدة السياسية للتخلص من الثورة حيث بادر إلى اغتيال قائدها أبي عبدالله بن منصور الأمر الذي تسبب في إرباك وضع الثوار فسادت حالة من الفوضى في المدينة فاستسلم بعض رجال المدينة المترفين للمأمون بعد وصوله إلى بغداد قادماً من خراسان ـ أي بعد استشهاد الإمام علي بن موسى الرضا (ع) بفترة وجيزة ـ.

٢ ـ ثورة عبدالرحمن بن أحمد العلوي

وهي الثورة التي قادها في اليمن الثائر العلوي عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب (ع) عام ٢٠٧ هـ، وقد

---

(١) جهاد الشيعة، ص ٣٦٧، نقلاً عن الطبري، ج ٧.

دعا الناس إلى الرضا من آل محمد (ص)[١]، واجتمع حوله كثير من أهل اليمن لا سيما ممن ضاقوا ذرعاً من معاملة الولاة العباسيين.

ويبدو أن هذه الحركة قد حدثت في وقت قد استتب الأمر للمأمون تماماً، فأرسل جيشاً إلى اليمن بقيادة دينار بن عبدالله، عازماً على القضاء على المقاومة الشيعية هناك.

ويكاد التاريخ أن يتغاضى عما حدث بشكل واضح لهذه الحركة، ويكتفي الطبري بالإشارة إلى أن الحركة قد انتهت في نفس العام.

ويشير المؤرخون إلى أن المأمون قد اتخذ موقفين بعد إحباط تلك العملية:

١ ـ شدد على العلويين قاطبة، وأمر بفرض لباس السواد عليهم.[٢] ـ وهو شعار العباسيين ـ.

٢ ـ عين والياً شديد البغض لآل البيت (ع) على اليمن هو الوالي الأموي محمد بن إبراهيم الزيادي ـ حفيد زياد بن أبيه ـ وعين له وزيراً هو سليمان بن هشام بن عبدالملك الأموي.[٢]

وقد قام الوالي الأموي المذكور باجتياح تهامة ذات الولاء لآل البيت (ع) يومذاك، كما تتبع أنصار العلويين وشيعتهم، وحارب القبائل اليمنية ذات الولاء لآل البيت (ع).

ولقد أعطى المأمون واليه الأموي كافة الصلاحيات مكافأة له في إبادة العلويين وأتباعهم وأمده بجيش خراساني حتى بلغ بالوالي الأموي الحال

---

(١) مصطلح يراد به إمام الوقت من أئمة أهل البيت (ع)، دون الافصاح عن اسمه.

(٢) و (٢) جهاد الشيعة، ص ٣٧٦.

إن أقام دولة تتمتع بحكم ذاتي واستقلال داخلي داخل حدود الدولة العباسيّة سميت بالدولة الزيادية، حكمها أحفاد زياد وموالوهم حتى عام ٥٥٣ هـ.

٣ـ الثورة العلوية الكبرى «ثورة محمد بن القاسم»

وكانت أهم الثورات العلوية ـ الشيعية في عهد الإمام الجواد (ع) التي اندلعت عام ٢١٩ هـ، هي ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ويكني أبا جعفر.

وكان عامة الناس يلقبونه بالصوفي لإدمانه على لبس الصوف الأبيض.

وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب.(١)

بدأت دعوة محمد بن القاسم العلوي في مرو «خراسان» وما حولها، وقد نشط دعاته في ذلك الأقليم يدعون الناس إلى الاجتماع حوله، وقد نجم نشاطهم عن اجتماع أربعين ألفاً من الموالين والأنصار.

ثمّ غادر أبو جعفر العلوي إلى الطالقان التي تبعد أربعين فرسخاً عن مرو، واجتمع إليه كثير من الناس، فدعاهم إلى الرضا من آل محمد (ص).

وقد بدأت أول عملياته العسكرية بالاصطدام مع قائد شرطة العباسيين في المنطقة حيث هزم قائد الشرطة «الحسين بن نوح»، مما دعا الوالي العباسي عبدالله بن طاهر إلى إرسال جيش بقيادة نوح بن حيان، فهزم في

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص ٥٧٨.

بداية أمره إلّا أن الحكومة المحلية أرسلت جيشاً كثيفاً لنصرة ابن حيان فتمكن من التغلب على جيش أبي جعفر محمد بن القاسم (رض)، فتفرق جنوده، فلحق بمدينة «نسا» في خراسان مستتراً عن أنظار عملاء السلطان.[١]

ويبدو أن عيون السلطة والوشائين قد رصدوا تحركات أبي جعفر (رض)، فألقي عليه القبض وأرسل إلى رأس الحكومة المحلية في نيسابور عبدالله بن طاهر، وبقي مقيداً في السجن ثلاثة شهور، وصار الوالي يوهم الناس أنه بعث به إلى بغداد، خوفاً من أنصاره المنتشرين في خراسان.

وبعد شعور السلطة، بامكانية ارساله إلى المعتصم نقل (رض) إلى بغداد.

يقول إبراهيم بن غسان في وصفه بعد فشل ثورته: عرض على محمد بن القاسم كل شيء نفيس فلم يقبل إلّا مصحفاً جامعاً.. ليدرس فيه، ويقول: «ما رأيت قط أشد اجتهاداً منه، ولا أعف ولا أكثر ذكراً لله عزّوجلّ، مع شدة نفس، واجتماع قلب ما ظهر منه جزع، ولا انكسار، ولا خضوع في الشدائد التي مرَّت به...».[٢]

وحين نقل إلى المعتصم ببغداد، أدخل إليها حاسراً بأمر الحاكم العباسي، وكان دخوله يوم النوروز من عام ٢١٩ هـ، فأدخل على

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص ٥٨١.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٨٤.

المعتصم، وكان مجلسه غاصاً بالمتفرجين على أصحاب «السماجة» من المهرَّجين كما كان مجلس الخليفة «عامراً» بالرقص والغناء، والمجون، والمعتصم يشرف على تلك النشاطات الماجنة في خيلاء.

وكان بين الحين والآخر يرى ضاحكاً مبتهجاً ولما أدخل ابن القاسم (رض) إلى ذلك المجلس الهازل الخليع بكىٰ قائلاً: اللّهم إنّك تعلم أني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وإنكاره[١]، ثمّ راح يشتغل «بذكر الله تعالى وتسبيحه ويحرك شفتيه بالدعاء عليهم»[٢].

وبينما كان المعتصم جالساً جلسة فرعونية، كان نجل الطيبين محمد بن القاسم العلوي واقفاً بين يديه.

ثمّ أمر السلطان العباسي بالقائه في سرداب شبيه بالبئر حتى كاد أن يموت[٣]، ثمّ نقل بعد حين إلى بستان وحبس في إحدى الغرف.

على أن أبا جعفر بن القاسم (رض) دبر خطة نجا على أثرها من السجن.

فقد طلب من سجانيه مقصاً قال: إنه ينفعه في قص أظفاره، ثمّ طلب سعفة قال: إنه يطرد بها الفئران.

وقد استفاد من المقص في تقطيع الفراش الذي تحته على هيئة «سيور» ثمّ صنع من هذه المواد سلّماً استعان به للخروج من أحد

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٨٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

الشبابيك في ليلة عيد الفطر من تلك السنة، واختفى بين الحمالين حتى فجر ذلك اليوم، حيث خرج مع الحمالين دون أن يتعرّف عليه أحد، ثمّ انحدر إلى واسط واختفى حتى وافاه أجله فيها رضي الله تعالى عنه وأرضاه، بينما تشير بعض المعلومات أنه ألقي عليه القبض في زمن المتوكل العباسي وحبس حتى قضى نحبه مسموماً.(١)

وهكذا كانت هذه الانتفاضة العلوية آخر الانتفاضات التي شهدها عهد أبي جعفر محمد بن علي الجواد (عليه الصّلاة والسّلام).

(١) نفس المصدر، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

من مصادر الدراسة

١ ـ أصول الكافي أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (رض) ت عام ٣٢٩/٣٢٨ هـ ج ١، ط ٣، ١٣٨٨، طهران، دارالكتب الإسلامية.

٢ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة أبوالحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (رض)، ج ٢، ط ١٣٨١ هـ، المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٣ ـ عيون أخبار الرضا للمحدث أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ، طهران، انتشارات جهان.

٤ ـ الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للمحدث محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحرّ العاملي، ت ١١٠٤ هـ، ط قم المقدسة، منشورات مكتبة المفيد.

٥ ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للمحدث الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحرّ العاملي، ت ١١٠٤ هـ، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت (عشرون مجلداً).

٦ ـ تحف العقول عن آل الرسول (ص)، للشيخ أبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري)، ط ٥، ١٩٧٤ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٧ ـ كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ، ط ١٣٩٥ هـ، دارالكتب الإسلامية، طهران.

٨ ـ التوحيد للشيخ أبي جعفر الصدوق (رض)، ط جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

٩ ـ الإرشاد للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ المفيد، ت ٤١٣ هـ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

١٠ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، ت ٣٥٦، شرح وتحقيق السيد أحمد صقرط، دار المعرفة، بيروت.

١١ ـ الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، ت ٦٣٠ هـ، ج ٥، ط ٣، ١٩٨٠ م، دارالكتاب المعربي، بيروت.

١٢ ـ الاحتجاج لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ج ٢، ط النعمان في النجف الأشرف عام ١٩٦٦ م.

١٣ ـ الاختصاص للشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان العكبري، ط جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة.

١٤ ـ معاني الأخبار للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي، ت ٣٨١ هـ، ط ١٣٧٩ هـ، قم المقدسة.

١٥ ـ بحارالأنوار للمحدث محمد باقر المجلسي، ت ١١١١ هـ، ط ٢، ١٤٠٤ هـ، المطبعة الإسلامية، طهران.

١٦ ـ حلية الأبرار في فضائل محمد وآله الأطهار، للمحدث السيد هاشم البحراني، ت ١١٠٧ هـ، ط ١، ١٣٩٧ هـ، المطبعة العلمية، قم.

١٧ ـ علم اليقين في أصول الدين للمحدث محمد بن المرتضى المدعو محسن الكاشاني، ت ١٠٩١ هـ، ط ١٤٠٠ هـ، قم، انتشارات بيدار.

١٨ ـ صحيفة الأبرار للميرزا محمد تقي الملقب بحجة الإسلام، ط ٣، مطابع صوت الخيلج، الكويت.

١٩ ـ ينابيع المودة للحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، ت ١٢٩٤ هـ، ط ٨، منشورات دارالكتب العراقية، كاظمية العراق، ١٩٦٦ م.

٢٠ ـ في رحاب أئمة أهل البيت، السيد محسن الأمين العاملي، ط دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٠ م.

٢١ ـ سيرة الأئمة الأثني عشر، هاشم معروف الحسني، ط ٢، ١٩٧٨ م، دار القلم، بيروت.

٢٢ ـ جهاد الشيعة، الدكتورة سميرة مختار الليثي، ط دار الجبل، بيروت، ١٩٧٦ م.

٢٣ ـ مثير الأحزان في أحوال الأئمة الأثني عشر أمناء الرحمن، للشيخ شريف الجواهري، ط ٢، مط أمير، قم المقدسة.

٢٤ ـ تاريخ الشيعة للشيخ محمد حسين المظفري، ط مكتبة بصيرتي، قم المقدسة.

٢٥ ـ مفاتيح الجنان (المعرب) للشيخ عباس القمي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦ ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، للشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي الشهير بابن الصباغ، ت ٨٥٥ هـ، ط ٢، مكتبة دار الكتب التجارية، النجف الأشرف.

الفهرس

الفصل الأول (وآتيناه الحكم صبيّا)

الفصل الثاني (ملتقى الفضائل)

الفصل الثالث

الواقع الذي عاشه الإمام الجواد ـ عليه السّلام ـ قواه المؤثرة ومعطياته

الفصل الرابع
دور الإمام الجواد ـ عليه السّلام ـ
في حركة الإسلام التاريخية

الفصل الخامس
حول الانتفاضات العلوية في عصر الإمام ـ عليه السّلام ـ